البعد السياسي للأحلام في بيزنطة والعالم الإسلامي

أ.د. الأمين عبد الحميد أبو سعدة

جامعة طنطا- جمهورية مصر العربية

منذ أن خطا البشر خطواتهم الأولى على هذا الكوكب، كانت الأحلام والرؤى والكوابيس أيضا جزءاً مهماً لا يتجزأ من حياتهم اليومية. ورغم أن الأحلام والرؤى بطبيعتها مجرد تجربة شخصية معقدة، ترتبط بصاحبها بالدرجة الأولى، وبخلفيته الشخصية والحضارية، إلا أنه رغم ذلك كانت المجتمعات الأولى، والحالية أيضا، وكذلك الأديان والثقافات المختلفة حريصة أشد الحرص على الوصول إلى تفسير مُقنع لمثل هذه الأحلام. وكان الانطباع الغالب عادة، منذ فجر الإنسانية حتى الآن، أن الأحلام ليست فقط تلك التجربة الشخصية التي تعكس اللاوعي لشخص معين، وترتبط بتجاربه وخبراته الشخصية، بل هي نوع من التدخل الإلهي في حياة البشر، أو بلغة أخرى هي رسالة من العالم الآخر إلى عالم البشر عبر وسيلة كانت تقريبا الوحيدة في التواصل بين العالمين، أو نافذة قد يستشرف البعض منها المستقبل، الأمر الذي يعتقده الكثيرون اعتقاداً جازماً حتى في عصرنا الحالي. وفي الغالبية العظمى من مجتمعات العالم القديم كان الكهنة ورجال الدين وكبار السن من الرجال والنساء هم عادة المفسرون موضع الثقة لمثل هذه الرؤى والأحلام. وربما تخصص البعض في تفسيرها، وترك مؤلفات خاصة بها شكلت نوعا من العلم الجديد، يأخذ مسحة دينية، ويعتمد عادة على بعض السمات الدينية، والبيئية وكذلك التأويلات اللغوية في تفسير تلك الأحلام.[١] أما في التراث الشعبي فالحلم يظهر ليتيح الفرصة للتفسير والتعليل للكثير من السلوكيات الغير منطقية، والنقلات والأحداث التي يطفو بها القاص الشعبي بعيدا عن عالم الواقع والمنطق.[٢]

وعود على بدء، فقد أولت الديانات السماوية الثلاث بكتبها المقدسة اهتماماً خاصاً بالرؤى والأحلام، وميزت ما بين الرؤى الطيبة والبشارة وما يمكن أن يندرج تحت الوحي السماوي

---

[١] عن تفسير الأحلام وكتبها في العالم القديم انظر:

Hughes, J. D., "Dream Interpretation in Ancient Civilizations", Dreaming, Vol. 10, No. 1, 2000, pp. 7-18; Oberhelman, S.M., *Dream Books in Byzantium: Six Oneirocritica in Translation,* (Aldershot 2008), p. 1.

[٢] فاروق خورشيد، "الأحلام في الموروث الشعبي"، مجلة الفنون الشعبية، القاهرة، عدد ٢٨/٢٧ (١٩٨٩) ص ٤٤-٥٢.

للأنبياء والقديسين وغيرهم، وما بين أضغاث الأحلام التي تراود البشر وتكون ذات طابع دينوي شخصي. وقد وردت كلمة الأحلام والوحي مرات عديدة نصاً في القرآن الكريم، وكذلك ورد لفظ تأويل الرؤيا. وفي الإسلام تمثل الرؤى و الأحلام أهمية خاصة، فقد ارتبطت الرؤى بالعديد من الأنبياء مثل إبراهيم ويوسف عليهما السلام، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال " تَسَمَّوا بِاسْمِي وَلَا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي وَمَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ"،[٣] فأصبح الأمر قاطعاً فيما يتعلق برؤى النبي وما قد تحمله من معاني ورسائل للحكام والفقهاء والأشخاص العاديين، لدرجة أن البعض قال بأنه "جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة".[٤]

ومن ناحية أخرى أصبحت الأحلام فرعاً من فروع علم النفس الحديث، الذي يتعرض للحلم باعتبارهِ تجربة شخصية فردية، تعكس اللاوعي الخاص بشخص محدد مرتبطة بتجربته هو الشخصية. غير أن علم النفس يظل في نهاية المطاف علماً محدداً يطبق نظريات علمية قاطعة، فلا يقبل بالرمزية الدينية، ولا البيئية، ولا ما قد يحمله الحلم من استشراف للمستقبل، وإن كان يتعرض للماضي باعتباره رصيداً للتجارب البشرية بحلوها ومرها، وانعكاساتها على الوعي واللاوعي معاً. ويأتي على رأس علماء هذا الفرع الطبيب النمساوي المعروف سيجموند فرويد Sigmund Freud (ت ١٩٣٩م) الذي كرس كل أبحاثه لعالم اللاوعي البشري، بعيداً عن التأثيرات الدينية والشعبية التي ارتبطت سابقا بالأحلام والرؤى في العالمين القديم والوسيط، بل والحديث أيضا.

وهكذا فإن لدينا ثلاثة اتجاهات لتفسير الأحلام كما تصنفهم الباحثة الجزائرية مولكي جميلة، هي البعد الديني، والشعبي، ثم النفسي في تفسير الحلم.[٥] إلا أن هذا البحث يتناول

---

[٣] صحيح البخاري، كتاب العلم، رقم ١١٠؛ صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٦.

[٤] صحيح مسلم، ٢٢٦٤؛ سنن الترمذي، ٢٢٧٠.

– عن أهمية الأحلام في الإسلام: عبد الله محمد أمين ونس العمري، الرؤى والأحلام في السنة النبوية، دراسة وجمع وتصنيف وتخريج، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٢م؛ حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري كتاب الرؤيا، دار اللواء، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ. خصوصا صفحات ٦–٢٠.

Özgen, F. and Knysh, Alexander D. (eds.), Dreams and Visions in Islamic Societies, State University of New York Press, 2012; Kinerg, L. "Interaction between this world and the Aftermath in Early Islamic Tradition", *Oriens*, 29 (1986) pp. 285-308; Smith, J. I., "Concourse between the Living and the Dead in Islamic Eschatological Literature", *History of Religions*, Vol. 19, No. 3 (Feb., 1980), pp. 224-236.

[٥] ملوكي جميلة، مرجعية تفسير الأحلام في المعتقد الشعبي، دراسات أدبية، الجزائر، ١٠ (٢٠١١م)، ص ١٥٣.

الأحلام في الفضاء السياسي، أي فيما يتعلق بتوظيف الحلم سياسياً كدعاية أو تحذير أو دعاية مضادة أو تنبؤ بالمستقبل، أو رسائل من الغيب تظهر للحكام وعن الحكام والشخصيات المؤثرة، وذلك مقارنة ما بين بيزنطة والعالم الإسلامي في القرون الأولى من الصدام الحضاري بين العالمين، في محاولة للبحث عن أرضية مشتركة بين العالمين في مجال كان يحظى بأهمية خاصة وكبيرة رغم اختلاف الخلفية الثقافية والدينية في التعامل مع الأحلام والرؤى بين الجانبين. وتُمثل الأحلام والرؤى أرضية حضارية مشتركة بين العالمين البيزنطي والإسلامية فأشهر كتب تفسير الأحلام في بيزنطة نفسها منسوب إلى شخص عربي اسمه أحمد بن سيرين وعنوانه Oneirocriticon of Achmet، أي كتاب تفسير الأحلام لأحمد.[٦] وقد ظهرت مجادلات ونظريات كثيرة حول علاقة هذا الشخص المزعوم بالشخصية الإسلامية المعروفة في مجال تفسير الأحلام وهو أبوبكر محمد بن سيرين البصري الذي توفي عام ١١٠هـ،[٧] وهو عمده مفسري الأحلام في العالم الإسلامي وما تزال كتبه تُطبع وتلقى رواجاً كبيراً في العالم العربي حتى الآن. وإن كانت بعض الآراء الحديثة تنفي نسبة هذه الكتب إليه[٨] غير أن ابن النديم قد

---

[٦] عرفت كتب تفسير الأحلام في بيزنطة باسم Oneirokritika، وهذه الكتب منسوبة إلى ثلاثة من بطاركة القسطنطينية، البطريرك نقفور Nikephros ، والبطريرك جرمانوس Germanos ، والبطريرك أنستاسيوس Anastasios؛ وواحد منسوب إلى النبي دانيال Daniel، وكتاب متأخر منسوب إلى الإمبراطور مانويل باليولوج Manuel Palaiologos (١٣٩١-١٤٢٥م)، وكتاب آخر مجهول المؤلف، إلا أن من أشهرها وأكثرها ارتباطا بالعالم الإسلامي، الكتاب المعروف باسم the Oneirocriticon of Achmet وهو كتاب تفسير أحلام منسوب لشخص عربي اسمه احمد بن سيرين.غير أن كتاب تفسير أحمد هذا ليس نقلاً مباشراً عن المصدر العربي الأول بل هو بالأحرى نسخة مسيحية بيزنطية معدلة فيها بعضاً من روح العمل الإسلامي الأول. انظر:
Oberhelman, S. M., *Dream Books in Byzantium: Six Oneirocritica in Translation,* (Aldershot 2008); Idem, "Dream-Key Manuals of Byzantium", in *Dreaming in Byzantium and Beyond,* pp. 145-186; Mavroudi, M., *A Byzantine Book on Dream Interpretation: the Oneirocriticon of Achmet and its Arab Sources*, (Leiden 2002); , ODB, III, pp. 1526-1527."Oneirokritika

[٧] انظر ترجمته: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ص ٥٢-٥٤.

- عن مؤلف كتاب تفسير الأحلام البيزنطي، المدعو أحمد Achmet: انظر الدراسة المستفيضة التي كتبتها ماريا مافرودي، عن الكتاب ومؤلفه ومصادره وعلاقته بالمصادر العربية وخصوصا ابن سيرين، وخرجت منها بعد مناقشة مطولة بأن العمل البيزنطي مجهول المؤلف وتم تداول عديد من النسخ الشعبية له في بيزنطة ولاحقا وجدت طريقها إلى اللغة اللاتينية في أوروبا، وفي فترة مبكرة أُضيف اسم أحمد بن سيرين كانعكاس لسمعة بن سيرين مفسر الأحلام الإسلامي.
Mavroudi, M., *A Byzantine Book on Dream Interpretation: the Oneirocriticon of Achmet and its Arab Sources,* passim, esp. pp. 32-40.

[٨] مشهور حسن آل سلمان، كتب حذر منها العلماء، (الرياض ١٤١٥هـ) الجزء الثاني، ص ٢٧٥-٢٨٤.

أشار إليه كأحد مؤلفي كتب تفسير الأحلام.[٩] ولكن مناقشة هذا يخرج عن نطاق هذا البحث، ويمكن الجزم على أية حال أن كثير من الكتب التي تباع في الأسواق تحت اسمه، هي منحولة تجارياً.[١٠] وفي كلا العالمين البيزنطي والإسلامي كانت أعمال اليوناني أرطميدورس (ارتميدوروس) الإفسي Artemidoros الذي عاش في القرن الثاني الميلادي، تمثل أرضية مشتركة لعلم جديد في تفسير الأحلام والتعبير عنها.[١١]

في بيزنطة المسيحية كان للحلم مدلول ديني وشعبي راسخ، فالشعب شديد التدين، يؤمن إيماناً قاطعاً بالغيبيات والمعجزات والكرامات والتواصل مع العالم الآخر ومع القوى الإلهية بوسائل عديدة، كان الحلم بطبيعة الحال أحدها. وفي بيزنطة كان الإيمان بالأحلام عميقاً وراسخاً، فالبيزنطي، مهما كان موقعه أو درجة تدينه وثقافته، هو أسير للكثير من المعتقدات في العالم الروحي، وفي النبوءات والسحر والطلاسم وغيرها، وكان طبيعياً أن يكون للأحلام دوراً كبيراً في مثل هذا المجتمع المتدين بطبيعته، وأن تكون المَسحة الدينية هي الغالبة عليها وعلى تفسيرها. ولعل أكبر دليل على هذا أن كاتب حوليات بيزنطي مثقف من داخل البلاط الإمبراطوري اعتقد أن الإمبراطورة ثيودورا قد استطاعت عن طريق الأحلام التأثير في حاكم بلغاريا لإطلاق سراح راهب بيزنطي أسير لديه.[١٢]

وفي كلا العالمين، الإسلامي والبيزنطي تطور علم تفسير الأحلام بشكل متواز تقريبا، وأصبح هناك متخصصون مُعترف بهم في هذا العلم الجديد، حاز بعضهم مكانة مهمة في بلاط الحكام، وأغلبهم نال شعبية هائلة بين العامة، وكذلك ظهرت كتب خاصة في تفسير الأحلام، سواء في بيزنطة أو في العالم الإسلامي، كثرت طبعاتها الشعبية، وما تزال حتى اليوم من أكثر الكتب مبيعاً في عالمنا الإسلامي. كما أن التطور التكنولوجي وظهور وسائل الإعلام الحديثة من راديو وتليفزيون وشبكات الانترنت قد أسهم في انتشار تفسير الأحلام بين العامة، بل إن

---

[٩] ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، م١، طهران ١٩٧١م، ص ٣٧٨م.

[١٠] "Ibn Sirin", EI, III, pp. 947-948; Green, N., "The Religious and Cultural Role of Dreams and Visions in Islam", *JRAS*, 13(2003), p. 290.

[١١] أرطميدورس الافسي، كتاب تعبير الرؤيا: أول وأهم الكتب في تفسير الأحلام نقله من اليونانية إلى العربية حنين بن اسحاق؛ حققه وصحح نصوصه وقدم له بالمقارنة بكتاب تفسير الأحلام لابن سيرين وكتاب تعطير الأنام في تعبير المنام لعبد الغني النابلسي وكتاب تفسير الأحلام لفرويد، عبد المنعم الحفني، ط١، القاهرة: دار الرشاد. (١٩٩١م).

[١٢] *Theophanes Continuatus*, English translation: Books 1- IV: Chronographiae quae Theophanis Continuati nomine fertur Libri I-IV, English trans. and ed by E. Featherstone, et al. (Berlin 2015), p. 233.

بعض الأحداث السياسية الكبرى قد وظفت هي الأخرى مثل هذه الروايات، وإن كان عرض ذلك يخرج عن نطاق هذا البحث.[١٣]

وفي بيزنطة والعالم الإسلامي، صاحب الإيمان العميق بالأحلام، حذر وتحفظ تجاه ما يمكن أن نعتبره أحلاماً مزيفة أو شريرة توحي بها الشياطين، أو قد تحدث نتيجة لطبيعة أو حالة الشخص نفسه. وأصبح هناك تقسيم واضح بين الرؤى الطيبة التي هي جزء من النبوة في العالم الإسلامي، أو الرؤى المقدسة Haroma في بيزنطة، وبين الرؤى المزيفة الشريرة. كما أن العالمين قد تشابها في قلة الاهتمام بالأحلام الجنسية والعاطفية والتي تعكس غالبا التجربة الشخصية الخالصة.[١٤] ورغم أن السلطات والكنيسة البيزنطية، مثل العالم الإسلامي تماماً، قد أولت موضوع الأحلام اهتماماً خاصاً، إلا أنه كان هناك نوع من الحذر البيزنطي في الفترة المبكرة تجاه ممارسات تفسير الأحلام خشية التداخل مع بواقي الوثنية،[١٥] ولم يرفع الحظر القانوني عنها إلا في عصر الإمبراطور ليو السادس.[١٦] كما كان هناك بعض التحفظ تجاه الأحلام ومفسريها سواء في العالم البيزنطي أو في العالم الإسلامي.[١٧] إلا أنه رغم ذلك فإن

---

[١٣] أشار كالفونوس إلى حيلة صدام حسين في التراجع أثناء غزو الكويت بأن نسب ذلك إلى رؤية للنبي صلى الله عليه وسلم بأن صورايخه توجه إلى المكان الخطأ: انظر:

Calofonos, G. T., "Dream narratives in Historical writing: Making sense of History of Theophanes Chronographia", in: R. Macrides, *History as Literature in Byzantium*, Ashgate (Surrey 2010), p. 133.

[١٤] Oberhelman, S. M. *Dream Books in Byzantium*, pp. 51-52; Mavroudi, M., "Byzantine and Islamic Dream Interpretation: A Comparative Approach to the Problem of Reality vs Literary Tradition", in: Angelidi, C. and G. Calofonos, (eds.), *Dreaming in Byzantium and Beyond",* Ashgate, (Surrey 2014), p. 163.

[١٥] Codex Theodosianus, IX, 16. 6.

[١٦] Mavroudi, M., *A Byzantine Book on Dream Interpretation*) , p. 61.

[١٧] Calofonos, G., "Dream Interpretation: A Byzantinist Superstition? ", Byzantine and Modern Greek Studies, Volume 9, Issue 1 (01 January 1984), pp. 215-220.

– ناقش الإمام الشاطبي الأندلسي قضية شرعية الأحلام وانتقد ميل البعض خاصة الصوفية إلى اتخاذ الأحلام مصدراً للتحليل والتحريم " ربما قال بعضهم رأيت النبي في المنام فقال لي كذا وأمرني بكذا فيعمل بها ويترك بها معرضا عن الحدود الموضوعة في الشريعة وهذا خطأ، لأن الرؤية من غير الانبياء لا يحكم بها شرعا"، ثم أورد قصه عن الخليفة المهدي الذي أراد قتل شريك القاضي بناء على تفسير رؤيا أنه يناهض دولته، فقال له القاضي "والله ما رؤياك رؤيا الخليل إبراهيم ولا معبرك يوسف الصديق، فبالأحلام الكذابة تضرب أعناق المؤمنين، فخجل المهدي وصرفه. الشاطبي، الاعتصام، ج٢، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد د. ت، ص ٨٠-٨٢.

– أما في بيزنطة فقد قال الإمبراطور ليو السادس أنه لا يرى أي شيء مؤكداً فيما يخص الأحلام، إلا أنه استدرك وأكد على أهمية توظفيها لتحميس الجنود في المعركة ورفع روحهم المعنوية.

Leo VI, *Taktika*, p. 599.

موضوع الأحلام كان يحظى باحترام وتقدير واهتمام كامل من الطبقات الحاكمة في كلا العالمين، فمعظم الخلفاء كانوا يولون ذلك الموضوع اهتماما شديداً، أما في بيزنطة فقد كان الأمر مشابهاً [١٨]بل إن لدينا إمبراطوراً بيزنطياً يُنسب إليه تأليف كتاب في تفسير الأحلام، وهو مانويل باليولوج Manuel Palaiologos (١٣٩١-١٤٢٥م).[١٩] ولعل خير مثال على دور وأهمية الأحلام في الدولة البيزنطية إن الإمبراطور قسطنطين السابع في كتابه عن الشئون العسكرية، خصص فقرة للحديث عن أهم الكتب التي يجب أن يحملها الإمبراطور معه في الحملات العسكرية، وكان تفسير الأحلام – دون تحديد كتاب معين- أحد تلك الكتب التي تستحق أن ترافق الإمبراطور في عتاده الشخصي في الحملات الحربية. [٢٠] كما أن أحد الأباطرة – قنسطانز الثاني Constans II (٦٤١-٦٦٨م) – كان لديه مفسر أحلام شخصي ضمن حاشيته.[٢١]

ومن ناحية أخرى فإن الشخص صاحب تجربة الحلم يحمل في حد ذاته أهمية ودلالة خاصة، فأحلام الملوك أو أفراد أسرتهم أو المقربين منهم لها في الغالب مدلول سياسي أو حربي أو ديني، أما أحلام القديسين والأولياء والصالحين فهي ذات قيمة أكبر، ومصداقية أعلى، وبالتأكيد رمزية دينية وربما سياسية واسعة. وإن كانت الأحلام تظهر أيضا للعُصاة وغير المؤمنين من البشر تحذرهم أو تُبشرهم أو ترسل لهم من ظهر الغيب رسائل معينة قد تكون نقطة تحول في حياتهم. والأمر هنا يكاد يكون متشابهاً أو متطابقاً بين العالمين البيزنطي والإسلامي تجاه الرؤية وشخص المُتلقى، فكلما كان شخصية أتقى وأرفع مكانة ومنزلة، سواء أكان رجل دين أم ملكاً أو قائداً عسكرياً، كان أكثر مصداقية وتأثيراً.

وفي بيزنطة كانت سير القديسين بما تحمله عادة من معجزات وكرامات تزخر بالكثير من الأحلام لأولئك الرجال المقدسين كنوع من التواصل بينهم وبين القوى العلوية، الأمر الذي نجد له مثيلاً واضحاً بل يكاد يكون متطابقا إلى حد كبير مع الصوفية وقصصهم العديدة عن عالم

-وتشكك المؤرخ البيزنطي بسللوس في روايات الأحلام حول بعض الأباطرة.
Psellus, *Chronographia*, p. 203.
-ذكر البيهقي أن المأمون كان يبطل الرؤيا ولا يعترف بها في بداية فترة حكمه. البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص ٣٠٤.

(١٨) Oberhelman, S. M., "The Dream Key Manuals of Byzantium", p. 155.

(١٩) Calofonos, G., " Manuel II Palaiologos: Interpreter of Dreams", *Byzantinische Forschungen*, 16 (1991) pp. 447-455.
- يُجزم كالوفونس بأن دليل تفسير الأحلام هذا، هو عمل أصلي لمانويل نفسه أو على الأقل من الدائرة المقربة منه شخصيا في البلاط البيزنطي.

(٢٠) Porphyrogenitus, Constantine, (emperor) *Three Treatises on Imperial Military Expeditions*, ed. J. F. Haldon. Vienna 1991, p. 107.

(٢١) Theophaens, *The Chronicle*, p. 482.

الأحلام. وكلا الجانبين– كما سنرى– وظف تلك الأحلام لخدمة القديس أو الصوفي وتمجيده، والدفاع عنه وعن مذهبه أو طريقته. كما نجد تشابها واضحاً في التوظيف التعليمي للحلم بين بيزنطة ومتأخري الصوفية في العالم الإسلامي، فالحلم كان في بعض جوانبه رسالة تعليمية في بيزنطة، والأمر نفسه في العالم الإسلامي مع الصوفية بشكل خاص.[٢٢] غير أن ما يهمنا هنا هو الوظيفة التي قامت بها الأحلام كأداة لإكساب الشرعية على عصر، أو حكم، أو تصرف، أو شخص، أو حادثة بعينها؛ أو لتسوية نزاع سياسي ومذهبي، وبصفة عامة توظيفها سياسياً دون التعرض للجوانب الفقهية أو النفسية التي تخرج عن إطار هذا البحث.

على أية حال كانت أولى وأهم المجالات السياسية التي وُظفت فيها الأحلام هي ما يتعلق بالأسر المالكة أو مؤسسيها في الغالب، أو حتى مؤسسي الأسر الفرعية أو الفروع الحاكمة داخل أسرة أكبر، ففي معظم حضارات العالم، كان بعض مؤسسي الأسر المالكة الجديدة ينتمون إلى أصول متواضعة أو حتى مُنحطة، وبعضهم انتزع الحكم بطرق غير شرعية أو دموية. وفي هذه الحالة ظهرت الأحلام والرؤى – غالبا اللاحقة– كأداة روحية تم توظفيها سياسياً للدعاية لهؤلاء الملوك ولكسابهم شرعية مُفتقدة، يغلب عليها في معظم الأحيان مَسحة دينية، لفرض قداسة مصطنعة على أصول هذه الأسر، وأصبح الأمر شائعا في الشرق الأدنى القديم والوسيط بأشكال وصور مختلفة عبر قرون عديدة. وفي الغالب كانت مثل هذه الأحلام تُروي – أو تُخترع– لاحقا في عصر أسلافهم حين يستقر بهم الحال وتترسخ جذور الأسرة، ويصبح البحث عن نوع من الشرعية ذات المسحة الدينية أمراً ملحاً .

ويتطلب الأمر منا أن نعود حتى تاريخ مصر القديمة لنجد سيدة مصرية قديمة اسمها ريديدجيت Rededjet ظهر اسمها في بردية وستكار Westcar papyrus المشهورة، حيث بَشرتها الآلهة بثلاثة من التوائم أصبحوا ملوكاً بعد ذلك، ورغم البُعد الأسطوري الواضح للقصة كما يتفق علماء المصريات[٢٣] إلا أنها تمثل البدايات المبكرة للربط بين ولادة الملوك والأحلام

---

(٢٢) Cupane, C., "The Heavenly City: Religious and Secular Visions of the Other World in Byzantine Literature", in *Dreaming in Byzantium and Beyond,* pp. 53-54.

– عن توظيف الصوفية للحلم في التعلم سواء من شيوخهم أو من الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه. انظر: أنا ماري شيمل، أحلام الخليفة، ص ١٨٥، ٣٦٣، ٣٨٠.

(٢٣) بردية وستكار عدة لفائف من البردي وجدها المغامر الانجليزي هنري وستكار Henry Westcar في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وحملها معه إلى انجلترا، ثم انتهى بها الحال إلى متحف برلين حاليا. وتضم البردية عددا من القصص التي يفترض أنها رويت في بلاط الملك خوفو من ملوك الدولة المصرية القديمة. Jenni, Hanna, "Der Papyrus Westcar", *Studien zur Altägyptischen Kultur*, Bd. 25 (1998), pp. 113-141; Cooke, J. Hunt, "The Westcar Papyrus", *The Biblical World*, Vol. 4, No. 1 (Jul., 1894), pp. 49-53.

والتدخل الإلهي في مثل هذه القصص، وفي العالم اليوناني تكررت تلك الأحلام بشكل خاص مع القادة والحكام، ففي السيرة التي كتبها بلوتارخ Plutarch عن الاسكندر الأكبر المقدوني هناك تسع روايات عن الأحلام خمس منها من نصيب الاسكندر نفسه، وكان لها جميعا دور وأهمية في فكر الاسكندر ومعاصريه.[٢٤] فقد رأت والدة الاسكندر المقدوني أن كرة رعد قد نزلت من السماء إلى رَحِمها، بينما رأى والده أنه يضع ختما على رَحِم زوجته يمثل صورة أسد، الأمر الذي فسره المفسرون على أنه علامة إلهية على شجاعة وتميز المولود القادم.[٢٥] وفي فارس رأى جد قورش Cyrus أن شجرة تخرج من رحم ابنته وتغطي كل آسيا، الأمر الذي فسره المفسرون على أن المولود القادم سوف يحكم آسيا كلها.[٢٦] وهكذا لعبت الأحلام والرؤى في العالم القديم دوراً مهماً، في السياسة والحرب معا. وفي هذا السياق لا يفوتنا الإشارة إلى رؤيا النبي يوسف عليه السلام، وتفسير أبيه لها.[٢٧]

وإذا انتقلنا إلى العصور الوسطى بشقيها المسلم والمسيحي، فإننا نجد آثاراً واضحة لا تخطؤها العين لهذا البُعد السياسي للرؤيا والأحلام في التمهيد لشرعية حكم أسرة معينة، وكذلك في الدعاية السياسية للحكام والأشخاص المهمين، وإضفاء قداسة وهالة دينية وشرعية إلهية قد تغطى – في معظم الأحوال – شرعية مكتسبة بالسيف. ففي الدولة البيزنطية لدينا باسيل الأول المقدوني Basil I (٨٦٧–٨٨٦م) مؤسس أكبر وأقوى الأسر الحاكمة في بيزنطة، وهو لم يكن سوى شاب فقير دخل العاصمة بحثا عن الرزق وعن فرصة عمل، وانتهى به الحال أن يقتل ولي نعمته الإمبراطور ميخائيل الثالث Michael III (٨٤٢–٨٦٧م) ويجلس على العرش ويؤسس أسرة جديدة حاكمة، وهنا تظهر الرؤى والأحلام لتضفي لمسة إلهية، وتخترع شرعية دينية يتم تداولها غالبا إما في عصر المُؤسس نفسه أو في عصر أسلافه. فتروي المصادر البيزنطية – المتأخرة نسبيا والمكتوبة في عصر أسرة باسيل– أن الشاب الفقير في رحلته إلى القسطنطينية قضى ليلته على باب أحد الأديرة، وهنا ظهرت الملائكة لرهبان الدير تحثهم على فتح الباب للإمبراطور الذي قدرته العناية الإلهية، ومع تكرار الحلم[٢٨] يخرج الراهب ليفاجئ

---

(٢٤) King, Carol J. "Plutarch, Alexander, and Dream Divination", Illinois Classical Studies, No. 38 (2013), pp. 81-111.

(٢٥) Plutarch, Lives, vol., VII, Alexander, trans. by B. Perrin, The Loeb Classical Library, London 1967, II, 1-5, p. 227.

(٢٦) Herotodus, History, 1.1.108.

(٢٧) يوسف، ٤. وردت قصة يوسف في العهد القديم، وفيها أكثر من حلم عن تفوقه المستقبلي عن أخوته: سفر التكوين، ٣٧، ٦–١١؛ كما وردت أيضا قصة حلم الملك بالبقرات السبع ٤١، ١–٤.

(٢٨) للتكرار هنا لثلاث مرات أهمية خاصة على ما يبدو ويظهر ذلك في الجانب الإسلامي خصوصا في أحلام الصوفية.

بالشاب الفقير لا حول له ولا قوة، فيكرمه ويستقبله داخل الدير بكل ترحاب وتقدير.[٢٩] أما الإمبراطور القتيل، فقد ظهرت رؤى وأحلام – بعد مقتله وفي عصر أسرة قاتله– يظهر فيها القديس بولس يحذره هو خاله من القتل بسبب ظلمهما للبطريرك إجناتيوس Ignatios (٨٤٧–٨٥٨م، ٨٦٧–٨٧٧م)،[٣٠] فالحلم هنا ظهر مرتين، بخطوتين متتاليتين لمسح آثار دماء الإمبراطور القتيل، فالقاتل كان مُقدساً تبنته الأقدار وأحاطته بهالة من القداسة المزعومة عن طريق الحلم، أما القتيل فقد وصمه الحلم وأدانه، الأمر الذي يتوافق مع الحلم الأول في التبرير للقتل وإعطاء شرعية، بل ومجد وقداسة للقاتل.

وحتى في دولة المغول وفي أقصى الشرق وحيث إمبراطورية المغول، تداولت روايات عن حلم جنكيزخان (١٢٠٦–١٢٢٩م)مؤسس الدولة المغولية بفارس أبيض يبُشره بملك العالم ويستحثه على التحرك، ولم يتردد فارس الحلم المجهول في أن يزور بطلنا مرة ثانية لتشجيعه، وعندما سخر منه قومه، ما كان من الفارس هذا إلا أن ظهر لهم هم أيضا ليحثهم على طاعته، الأمر الذي دفعهم جميعا إلى اختيار جنكيزخان ومبايعته.[٣١] وهنا يبدو الهدف السياسي واضحاً من توظيف الحلم في حشد الأنصار إزالة الشكوك من نفوسهم، ووضع أسس شبه مقدسة لدولة جديدة.

أما في العالم الإسلامي فهناك روايات مشابهة نسبيا لبعض الحكام ولمؤسسي الأسر الحاكمة، عن بشرى إلهيه لهم عن طريق الحلم، تبشرهم بطول حكم، ورسوخ قدم، وتسلسل نسلهم في الحكم لسنوات طويلة. ولعل أقدمها ما يرويه ابن خلكان أن عبد الملك بن مروان (٦٨٥–٧٠٥م) قد حلم بأنه قد َبال في المحرابِ أربع مرات، فبعث إلى التابعي سعيد بن الُمسيب َيسأله ُ في ذلك، فَأَول ذلك أن أربع من أولادهِ من صُلبه سوف يملكون، وهو ما حدث فعلا من تولية الوليد وسليمان ويزيد وهشام.[٣٢] والواضح أنه كان لهذا الحلم بالذات شهرة كبيرة في العالم الإسلامي في فترات لاحقة، وتعددت الروايات التي عرضته، واختلفت في بعض التفاصيل الصغيرة.[٣٣] كما تكرر نفس الحلم – البول في المحراب– للخليفة العباسي المأمون (٨١٣–

---

(٢٩) *Vita Basilii*, p. 35; Skylitzes, *Synopsis*, p. 121.

(٣٠) *Theophanes Cont*., pp. 289-291.

(٣١) جون ماندفيل، أسفار السير جون ماندفيل ورحلاته، ترجمة أنس الذهبي ورنا جزائري، هيئة أبو ظبي للسياحة ٢٠١٢م، ص ٢٢٢–٢٢٤.

– هناك رؤى أخرى بمعاني مختلفة منسوبة إلى جنكيزخان. أنا ماري شيمل، أحلام الخليفة، ص ٤١٦.

(٣٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص ٣٧٨.

(٣٣) ظهرت نفس القصة في حلم آخر رآه هذه المرة عبد الله بن الزبير، كأنه صرع عبد الملك بن مروان وسَوه في الأرض بأربع أوتاد، فأرسل إلى ابن سيرين يسأله دون الكشف عن شخصيته، ولكن ابن سيرين – حسب الرواية–

٨٣٣م).[٣٤] وفي بني العباس ظهرت رؤية مماثلة تقريباً، إذ يقال أن أم الخليفة أبو جعفر المنصور (٧٥٤-٧٧٥م)رأت حين حملها به أن أسداً خرج منها، وراح يزأر ويُ خضع الأسود الأخرى التي أقبلت.[٣٥]

إلا أن أشهرها وأكثرها تطابقا مع الروايات البيزنطية روايتان لمؤسسي دولتين، وأولهما هي رواية حلم أبي شجاع بويه بالملك والزعامة في العراق وفارس، إذ تتشابه مع رواية عبد الملك في أن أبا شجاع بويه رأى نفسه يبول فخرجت من بولهِ نار عظيمة استطالت حتى بلغت عنان السماء وأضاءت الدنيا، فتعجب أبو شجاع وسخر من المنجم الذي فسر له الرؤيا بُملك أولاده، ولم يصدقه لفقره وضعف حالته آنذاك،[٣٦] والحلم نفسه يكاد يكون متشابها مع حلم السلطان عثمان الشهير بالرواية حول قمر طلع من صدر شيخه باده بالي وذ زل في بطنه هو، ومن سُرتهِ خرجت شجرة غطت الدنيا كلها، والأنهار تجرى من تحتها والناس ينتفعون منها.[٣٧] وقبل تلك الرواية بعدة قرون نجد مثيلا لها فيما يتعلق بالأسرة الأيوبية في مصر وبلاد الشام، فقد قيل إن أيوب والد صلاح الدين قد رأى أنه يبول فخرجت منه سحابة غطت الآفاق ونزل منها مطر

قال لمن سأله هذه ليست رؤياك، بل إما رؤية بن الزبير أو عبد الملك. وفي نهاية الأمر فسرها بأن عبد الملك سيلي الأمر من بعده أربعة من أولاده. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص ١٣٨.

– ونفس الرواية وردت في طبقات ابن سعد لكن المفسر كان سعيد بن المسيب. الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٨، ج ٥، ص ٩٣.

– وردت نفس الرواية في ابن عساكر، والمفسر كان سعيد بن المسيب، وصاحب الرؤية هو ابن الزبير. تاريخ دمشق، ج ٤٣، ص ٥٥٧.

– كما أورد القاضى التنوخي نفس الرواية بحلم لابن الزبير، ولكن المفسر كان ابن سيرين. الفرج بعد الشدة، ج٢، ص ٣١٦.

– ونفس الرواي القاضي التنوخي أورد في كتاب آخر له نفس الرواية ولكن بحلم عبد الملك وليس ابن الزبير، والمفسر كان هو نفسه ابن سيرين. نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج٣، ص ٢٢٣.

[٣٤] أنا ماري شيمل، أحلام الخليفة، ص ٧٠.

[٣٥] المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ث ٢٣٥.

[٣٦] المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص ٢٥-٢٦؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٧٩- ٢٨٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣، ص ٣٣٩-٣٤٠.

[٣٧] محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٨، م ٢، ٦٩. راجع أيضا: محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، ط٢، القاهرة ١٩٩٣م، ص ٣٥.

طهر بيت المقدس.[٣٨] والرؤية نفسها تظهر بنفس التفاصيل تقريبا في المغرب العربي الإسلامي، فمؤسس دولة الموحدين عبد المؤمن بن على (١١٣٠-١١٦٣م) رأت أمه وهي حامل فيه أن ناراً تخرج من بطنها فتحرق المشرق والمغرب.[٣٩] وحتى الشخصيات البارزة التي أسهمت في تأسيس دول، وإن لم تكن من البيت الحاكم، نالت نصيبها من مثل هذه الروايات، فأبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية في خراسان، رأى أبوه في المنام ناراً تخرج من إحليلِه وترتفع في السماء وتقع في الشرق، وفسرت على أن ابنه سيكون له شأن عظيم.[٤٠] ومن الملفت للنظر حقا أن رؤيا شيء – نار أو نور أو غيرهما- يخرج من رحم أو بطن الأم قد تكرر أيضا مع بعض الشخصيات البارزة في مجالات أخرى غير السياسة والحرب.[٤١]

---

[٣٨] ابن ايبك، كنزر الدرر، ج٧، الدر المطلوب، ص ٩.

– أما صلاح الدين نفسه فقد رأى في المنام هاتفا يذكر من يسمى بالملك "الظاهر" قاهر الصليبيين بعد ثلاث تواتر"، وفسر ذلك الحلم بعد ذلك أنه ينطبق على الملك محمد بن قلاوون". ابن ايبك، كنزر الدرر، ج٧، ص ٩.

[٣٩] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص ٤١١.

– ولنفس الرجل رؤيا أنه يأكل في صفحة مع ابن تاشفين ثم اختطفها منها، فقال له المعبر، مستقلا شأنه، هذه ليست لك بل لرجل يخرج على ابن تاشفين ويملك الأمر. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص ١١٨-١١٩.

–وقد أورد ابن أيبك الدوادار نوعا من البشرى بملكه ولكنه كان في مقام اليقظة بأن سرباً من نحل نزل من السماء فغطاه وهو صبي نائم بجوار ابيه الفقير، فسأل أبوه عن هذا، فقيل له إن لهذا الصبي شأن عظيم. كنز الدرر، ج ٧، ص ٢٢.

[٤٠] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ١٤٥- ١٤٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص ١٣١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ١٦٢.

– وقد أورد العماد الحنبلي أنه رؤيت منامات لأبي مسلم هذا أنهُ ميّت دولة، ويُحيي دولة، ويُقتل بأرض الروم". شذرات الذهب، ج٢، ص ١٣٣.

[٤١] تروي المصادر الإسلامية أن الإمام محمد بن إدريس الشافعي (توفي ٢٠٤هـ) قد رأت أمه أن نجم المشتري قد خرج من فرجها حتى انقض في مصر ثم تفرقت منه شظية في كل بلد، وفُسِر ذلك بخروج عالم في أرض مصر يتسع علمه ويشمل بلاداً كثيرة. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص ١٦١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٣، ص ٢١. ولم تظهر هذه الرواية في الفهرست، لابن النديم، ج٢، ص ٣٧-٤١، ولا في المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص ٢٠-٢١.

– وعلى الجانب الآخر تروى المصادر أن أم الشاعر المعروف جرير (توفي ١١٠هـ) قد رأت في منامها أنها ولدت حبلاً أسوداً أخذ يمتد ليلتف حول رقاب الناس، فلما انتبهت مرعوبة فسرها المفسرون بأنها تلد شاعراً عظيماً لا يسلم من هجائهِ أحد. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص ٣٢٣.

– أما في بيزنطة فعندما ترددت والدة المؤرخ ميخائيل بسللوس في إكمال تعليمه، تدخلت القوى العلوية وظهرت لها السيدة العذراء مريم تحثها على أن يكمل الطفل تعليمه، وتبشرها بمستقبل باهر له.

وعودة لبيزنطة ثانية، فإن قصة الشجرة التي تنبع من القلب أو البطن تتكرر هنا بشكل يكاد يكون حرفياً، ففي القرن السادس الميلادي رأى والد الإمبراطور موريس Maurice (٥٨٢-٦٠٢م) الذي قدم القسطنطينية كمجرد كاتب، أن كرمة هائلة تخرج من سريره وتتوسع وتتفرع منها فروع كثيرة.[٤٢] في فترة سابقة من القرن التاسع الميلادي، حين ترى أم الإمبراطور باسيل الأول مؤسس الأسرة المقدونية، شجرة تخرج منها ويقف ابنها على قمة الشجرة، وبطبيعة الحال يفسرها المفسرون أنه سوف يصبح إمبراطوراً للرومان، أي بيزنطة.[٤٣] ومرة أخرى ترى نفس الأم رؤيا للنبي إلياس يبشرها بأن ابنها سوف يكون إمبراطوراً للرومان.[٤٤] وحتى المغول فهناك رواية عن حلم عن نجوم من السماء تخرج من عباءة قوبلاي خان (١٢٦٠-١٢٩٤م) تم تفسيرها كإشارة إلى تيمورلنك (١٣٧٠-١٤٠٥م) الحاكم المغولي المعروف. [٤٥]

وقد كان معظم القادة سواء من المسلمين أو البيزنطيين على حد سواء، على وعى كامل بأهمية الحلم سياسياً وعسكرياً، وإمكانية توظيفه في المجالين وفي الدعاية وسط جمهور متدين بعمق يؤمن بأن الأحلام هي أحد الطرق القليلة للربط بين الماضي والحاضر وربما المستقبل أيضا، ولهذا فإن هناك حالات من النصائح خصوصا العسكرية باستخدام الحلم – الحسن بالطبع– كنوع من البشرى العامة لرفع الروح المعنوية. ونذكر على سبيل المثال أبوعبيدة ابن الجراح[٤٦] والإمبراطور البيزنطي ليو السادس.[٤٧] كما نبه الإمبراطور نفسه قادته إلى تجنب الإفراط في تفسير الأحلام والعلامات وغيرها لأنها قد تؤدي لتدمير الروح المعنوية.[٤٨]

Angelidi, C. "The Writing of Dreams: A Note on Psellos' Funeral Oration on his Mother", in: C. Baber and D. Jenkins (eds.), *Reading Michael Psellos,* (Leiden 2006) pp. 153-166.

(٤٢) Evagrius, *The Ecclesiastical History of Evagrious Scholasticus*, trans. by M. Whitby, (Liverpool University Press 2000), p. 284.

(٤٣) Theophanes Continuatus, ed. I. Becker (CSHB, Bonn 1838). Partial English trans. *Vita Basili, I. Ševčenko, Chronographiae Quae Theophanis Continuati Nomine Fertur Liber Quo Vita Basilii Imperatoris Amplectitur, Berlin/Boston 2011.* (Book V of Theophanes Continuatus), p. 31, 44; Skylitzes, p. 122.

(٤٤) *Vita Basili, I.*, p. 33.

(٤٥) أنا ماري شيمل، أحلام الخليفة، ص ٢٠٦.

(٤٦) قال أبو عبيدة في وصفه لحلم رآه أحد المسلمين قبل معركة اليرموك "هذه والله بشرى من الله، فحدثوا بهذه الرؤيا الناس، فإن مثلها من الرؤيا يُشجع المسلم، ويُحسن ظنه، ويُنشطه للقاء عدوه" الأزدي، فتوح الشام، ص ٢١٣-٢١٤.

(٤٧) " سوف تجعل جنودك أقوى في يوم المعركة، إذااستيقظت مبكراً وأشعت أنك قد رأيت حلماً يبدو أنه من الله أو قوة علوية أخرى، تحثك على مهاجمة العدو وتبدو مساندة لك"

(٤٨) Leo VI, *Taktika*, p. 589.
Leo VI, *Taktika*, p. 615.

على أن لدينا حالة واضحة جَلية لاصطناع حلم من أجل كسب أتباع لدعوة جديدة ودولة جديدة ، استغلالا لثقة الناس في الحلم وإيمانهم بإمكانية حدوث معجزات حَقة من خلال حلم يراه أحد الناس. فيروي ابن خلكان أن ابن تومرت الزعيم الروحي لحركة الموحدين في المغرب أراد أن يستميل أتباعاً لدعوته فأمر الكاتب المعروف الونشريسي[٤٩] بأن يتظاهر بالفقر والبساطة والبله، ثم يدعي فجأة أن الفصاحة والمعرفة والحكمة الدينية قد نزلت عليه في المنام مع مَلكين شقا فؤاده وغسلاه وحشياه علماً وورعاً ، "فانقاد له كل صعب القياد"، وأصاب الناس الذهول والدهشة، فعجل ابن تومرت وسأل كاتبه صاحب الحلم الكاذب، "عجل لنا البشرى وعرفنا أسعداء نحن أم أشقياء؟ فقال له أما أنت فإنك المهدي القائم بأمر الله، ومن تبعك سعد، ومن خالفك هلك". [٥٠] وهنا محاولة واضحة لجذب المستمعين إلى بعض ملامح من السيرة النبوية لكسب تعاطفهم. وهناك عدة أحلام مرتبطة بشكل خاص بالملك الناصر محمد بن قلاوون.

كما أن الحلم يظهر أحياناً في وقت مبكر لإنقاذ البطل، أو يتدخل القديسون والأولياء لنجدة أحد القادة أو الزعماء. ففي بيزنطة هناك الكثير من الأمثلة على تدخل السماء بشكل ديني لنجدة شخص شبه مقدس سوف يصبح يوماً إمبراطور الرومان، فقد كان الإمبراطور جستين الأول Justin I (٥١٨-٥٢٧) قائداً عسكرياً صغيراً ارتكب إحدى الجنح، وتم اعتقاله، حيث عزم قائد الجيش البيزنطي على إعدامه في اليوم التالي، غير أن كائناً سماوياً أتي إليه في الحلم لمدة ثلاث ليال[٥١] يُحذر من المساس بهذا الإنسان، الذي سوف يساعده في وقت يكون في أمس الحاجة للمساعدة.[٥٢] ونفس الإمبراطور رأى سلفه أنستاسيوس Anastsius (٤٩١-٥١٨م) الغير تقي من وجهة نظر المصادر البيزنطية، رؤية إلهيه كنذير بوفاته قريبا، ولعل الأمر كما لاحظ جورج كالوفونوس G. Calofonos كان نوعا من التمهيد ذو الصبغة الإلهية لتولي أسرة جديدة يحكمها إمبراطور من أصل متواضع مثل جستين الأول. [٥٣] ولم يتوقف الأمر على الأباطرة فقط بل امتد ليشمل تدخل القديسين – في الحلم بالطبع- لنجدة قادة عسكريين – أتقياء

---

[٤٩] هو أبو محمد البشير المعروف بالونشريسي، وليس الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بالونشريسي والأكثر شهرة وصاحب المؤلفات الكثيرة والذي عاش في القرن الخامس عشر وتوفي في بداية القرن السادس عشر الميلادي.

[٥٠] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص ٤٨- ٥٣.

[٥١] مرة أخرى يبدو التكرار لثلاث مرات ذو أهمية معينة سواء في بيزنطة أو العالم الإسلامي. وقد ورد هذا التكرار لمرات ثلاث عدة مرات في كتاب المنامات لابن أبي الدنيا.

[٥٢] بروكوبيوس، التاريخ السري، ص ٧١-٧٢.

[٥٣] *Theophanes*, p.348. C.f. also, G. Calofonos, "Dream narratives in historical writings", p. 141.

– من أحكام إعدام جائرة كادت تحيق بهم.[٥٤] والأمر نفسه نجده في العالم الإسلام في التدخل لإنقاذ شخص مهم، فتروى المصادر الإسلامية أن الخليفة المهدي عندما سجن الإمام موسى الكاظم، فرأى المهدي في منامه على بن أبي طالب يحذره من قطع الرحم، فأفرج عنه. ومرة أخرى عندما سجنه هارون الرشيد رأى في المنام الحسين بن على يهدده بحربه فأطلق سراحه.[٥٥]

وحتى في المفاضلة بين حاكمين، تظهر أحلام أحيانا لتفصل في أيهما له المستقبل الأفضل، أو الأكثر أهمية أيهما أكثر شرعية من الآخر، فهناك رواية عن حاكم إحدى الولايات رأى أن الشمس والقمر يقتتلان، فجاء إلى الخليفة عمر بن الخطاب وقص عليه رؤياه، فسأله مع من كنت؟ قال كنت مع القمر، قال كنت مع الآية الممحوة وعزله عن عمله ثم قُتل هذا الرجل في معركة صفين وهو في صفوف معاوية بن أبي سفيان،[٥٦] في رسالة واضحة للتأييد السماوي – عبر الحلم– لجانب على بن أبي طالب. ونفس فكرة المفاضلة بين حاكمين بمقتضى حلم تظهر أكثر من مرة في التاريخ الإسلامي، فقد " رأى علّي بن عبد الله بن العّباس – جد العباسيين– في النوم كأنّ بيتا مشحونا أفاعي وأنّ ثعبانا أسود خرج من تحت أُم عبد الله بن علي– السفاح– فأكل تلك الحيات، ثم خرجت نار من تحت أُم أبي جعفر – المنصور فأحرقت الثعبان. فلّما أصبح قصّ رؤياه فقال: تأويل رؤياي أنّ فلانة– يعني أُم عبد الله– تلد منّي من يقتل بني أمّية، وتلد فلانة– أُم أبي جعفر– من يملك السلطان فينازعه قاتل بني أمّية فيقتله".[٥٧] وهنا نلمس بشكل واضح آثاراً لقصة سحرة فرعون وإحياء بأن حية الحق تأكل ثعابين الباطل، وفي هذا الحلم إيحاء بأني بني أمية الراحلون يمثلون سحرة فرعون وباطل فرعون. وفي الأسرة العباسية أيضا رواية عن حلم منسوب إلى الخليفة أبي جعفر المنصور بأنه في الحرم

---

(٥٤) Henry Maguire, "From the Evil Eye to the Eye of Justice: The Saints, Art, and Justice in Byzantium", in : Laiou, A. and D. Simon, (eds.) Law and Society in Byzantium: Ninth-Twelfth Centuries, Dumbarton Oaks, Washington, D.C. 1994, pp. 223-224, 229.

(٥٥) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص ٣٧٧– ٣٧٨.

(٥٦) الأبي، منصور بن الحسين الرازي، نثر الدر في المحاضرات، المحقق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية – بيروت /لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ٧، ج ٧، ص ١٢٦.

(٥٧) مجهول، أخبار الدولة العباسية، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق: عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، د. ت. ص ١٣٨.

– هناك رواية عن حلم رآه الخليفة المهدي أنه رأى في المنام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نقش فيه اسم الوليد بن عبد الملك، فسمع هاتف يأمر بمحو هذا الاسم وكتابة اسم رجل من بني هاشم، محمد بن على بن عبد الله، مكانه. البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص ٣٠٤.

المكي ومعه أخيه– السفاح– فتقدم أخوه حتى دخل الكعبة ثم خرج فسقط منه اللواء، أما أبو جعفر فقد تقدم ثانية داخل الكعبة حيث وجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وسلمه اللواء وقال له هذه لك ولأولادك من بعدك.[٥٨] وبشكل متماثل، رأى الخليفة المهدي أنه قد أعطى قضيبين إلى ولديه موسي وهارون، فأورق قضيب موسى قليلاً، أما هارون – الرشيد– فقد أورق قضيبه وامتد واتسع، الأمر الذي فسر على أن مُلك موسى قصيراً، بينما يتسع ويعظم مُلك هارون.[٥٩]

ومن خلال التجول بين مصادر الشرق والغرب فإن الرؤى والأحلام تبدو بالغة الأهمية بشكل خاص في دعم المستقبل السياسي لأسر حاكمة معينة، أو لأشخاص معينين، يفتقدون في أغلب الأحيان للشرعية الدينية أو السياسية، فتظهر الأحلام – غالبا بعد فترة من استقرار الأسرة – لتضفي نوعا من الدعم الروحي والديني لحكم الأسرة، وتُروج على المستوى الشعبي ما يبدو أنه مساندة إلهية لتلك الأسرة أو هذا الشخص. وربما يصبح الحلم آداه شبه مقدسه للتغطية على ما قام به مؤسس الأسرة من أعمال قد تغلفها الدماء أو الظلم في الكثير من الأحيان. ويبدو أن مؤسسي الأسر الحاكمة – شرقا وغربا – كانوا بشكل خاص موضع تلك الأحلام والروايات التي بررت – غالبا لاحقاً– ما حققته أسرتهم وأولادهم من حكم طويل.

فعلى الجانب البيزنطي يبدو الإمبراطور قسطنطين بشكل خاص أحد أبطال الكثير من الأحلام، فهو مؤسس الدولة، ومن اعترف بالمسيحية وأخرجها للعلانية والنور، فهناك رواية سابقة عن إيمانه بالمسيحية عن حلم رآه، ولدينا رواية ثانية عن بناء القسطنطينية بوحي إلهي لبناء المدينة في هذا الموقع.[٦٠] الأمر الذي يهيئ القارئ للحولية بأن تلك المدينة ما هي إلا مدينة إلهية خالصة تمت بتدبير واختيار إلهي.[٦١] ونجد روايات متأخرة عن بشرى حلم بها قسطنطين الكبير مؤسس الدولة أنه قد بنى القسطنطينية بناء على حلم شاهد فيه سيدة عجوز بشرته بالملك والحكم.[٦٢]في حين أن هذا الملك القديس الذي تُضفى عليه المصادر المسيحية كل هذه الهالة هو نفسه كان سفاكا للدماء، تلطخت يداه حتى بدماء أبنائه وزوجته، كما أنه في الكثير من الروايات لم يُعمد كمسيحي إلا على فراش الموت.[٦٣] والأمر نفسه تماماً على الجانب

---

[٥٨] البيهقي، المحاسن والمساوئ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٩١م، ص ٣٠٥.
– نفس الرواية أي تسليم النبي صلى الله عليه وسلم راية كرمز للحكم تظهر لاحقا في فارس مع الشيخ صدر الدين جد ملوك الأسرة الصفوية في إيران. أنا ماري شيمل، أحلام الخليفة، ص ٤٠٩.

[٥٩] المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٢٧٧؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص ٣١٩.

[٦٠] Theophanes, *Chronicle* p. 37.

[٦١] Calofonos, G., "Dream narratives in historical writings" , p. 137.

[٦٢] Robert the Monk, *History of the First Crusade,* eng. Trans. C. Sweetenham (Ashgate, Hants 2005), p. 101.

[٦٣] التاريخ الوسيط، قصة حضارة، ج١، ص ٦٣–٧٠.

الإسلامي، فقد اتسم عماد الدين زنكي بالتهور والتسرع في سفك دماء المسلمين، خصوصا في حصاره لبعض الحصون الإسلامية، ولاحقا يظهر الحلم ليمسح ما شاب صورته في ذهن المسلمين من مرارة وأسى، وليبعث الحلم رسالة من العالم الآخر أن الله "قد غفر لي بفتح الرها".[٦٤] وفي بلاد الروم عندما يقدم السلطان العثماني محمد الأول على شنق الصوفي بدر الدين السيماوي بتهمة التآمر ضده، الأمر الذي ولابد أثار ضيقاً شديداً بين تلاميذ ومريدي الشيخ، يظهر الشيخ في المنام للسلطان يؤيده في حكم الإعدام عليه.[٦٥] وبلا شك فإن هذه الرواية تشبه حلم عماد الدين زنكي في توظيف الإيمان العميق بالأحلام في غسل سمعة الكثير من القادة وتخفيف أي مشاعر للضيق أو الكراهية لدى أتباعهم.

ويمكن القول أن أهم رؤية غيرت وجه التاريخ القديم، هي ما ترويه المصادر المسيحية عن حِلم الإمبراطور قسطنطين الكبير عشية معركة جسر ميلان والذي يُقال إن السيد المسيح عليه السلام قد ظهر له وأخبره أنه سوف ينتصر بعلامة الصليب.[٦٦] وبصرف النظر عن الدوافع الحقيقية لقسطنطين في اتخاذه علامة الصليب قبل المعركة،[٦٧] فإن تلك الرؤيا قد وظفتها الكنيسة وآلتها الدعائية طوال العصور الوسطى، وجعلت من الرجل بطل المسيحية بل وأحد الحواريين.

ومن ناحية أخرى، وفي وقت محنة الطيبين من الملوك كانت الأحلام تظهر لتؤازرهم وتساندهم وقت العسرة والشدة، سواء في الحرب أو السلم. فقبيل إعدام موريس على يد الطاغية فوقاس رأى نفسه في حلم فوق بوابة القصر بينما يسأله الله ما إذا كان يرغب في أن يُحاسب على خطاياه في هذا العالم أو أن يؤجل الحساب إلى العالم الآخر، فاختار موريس أن يدفع ثمن خطاياه في هذا العالم، ومن ثم أمر المسيح جنديا يدعى فوقاس بالقبض علي موريس وعائلته، وبعد استيقاظ الإمبراطور طلب تفسيراً للحلم وأيقن أن أيامه هو وأسرته قد ولت.[٦٨] وقد أشار كالفونوس إلى رمزية بوابة القصر والأيقونة الموجودة عليها والتي كانت رمز لتقديس الأيقونات، ومثل تحطميها في عصر ليو الثالث بداية حركة تحطيم الأيقونات في بيزنطة.[٦٩]

---

[٦٤] ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص ٣٣٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص ٢٠٩-٢١٠.

[٦٥] أن ماري شيمل، أحلام الخليفة، ص ٢٧١.

[٦٦] Theophanes, *Chronicle* p. 23.

- أشارت المصادر العربية إلى هذه الرواية، وقد أشار المقريزي إلى روايات البعض بأنها لم تكن حلماً بكل كانت في اليقظة، انظر، التنبيه والإشراف، ص ١٢٠.

[٦٧] انظر مناقشة نورمان كانتور حول دوافع قسطنطين الدينية، التاريخ الوسيط، قصة حضارة، ج١، ص ٦٣-٧٠.

[٦٨] Theophanes, *Chronicle* , pp. 410-411.

[٦٩] Calofonos, G., "Dream narratives in historical writings", p. 142.

وعلى الجانب الإسلامي تظهر نفس الرؤى للملوك والزعماء لتساندهم في محنتهم وتبشرهم بالفرج، ومثلما هو الحال في بيزنطة فإن هناك دوما شخصية مقدسة تظهر في المنام لتبارك وتبشر وأحيانا تحذر، أو تضفي الحماية والعون لأشخاص بعينهم. وبطبيعة الحال فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أول وأهم هذه الشخصيات، ولعل السبب في ذلك أن ظهوره عليه الصلاة والسلام في الرؤيا يعطيها مصداقية وتأكيداً، ثم يليه كبار الصحابة وخاصة أبوبكر وعلى بن أبي طالب، وفي فترات متأخرة كان شيوخ الصوفية المشهورين هم من يظهرون غالباً في الأحلام لتوصيل رسالة معينة، دعم أو مساندة أو بشرى أو غير ذلك. ومن هذه النماذج، ما يرويه المسعودي أن هارون الرشيد رأى في المنام على بن أبي طالب، يحذره فيه من حبس واحد من بني أبي طالب ويأمره بالإفراج عنه فوراً، فاستيقظ الخليفة فزعاً وأمر على الفور بإطلاق سراحه، والغريب أن السجين الهاشمي قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم، يبشره بالفرج من ليلته.[٧٠] أما الخليفة المعتضد العباسي فكان مسجوناً فرأى على بن أبي طالب في المنام، يبشره بالخلافة ويوصيه ببنيه، فانتبه من نومه موقنا بالرؤية.[٧١] بينما في دولة سلاجقة الروم كان السلطان علاء الدين كيقباد سجيناً رأى في منامه رجلاً نورانياً فك قيده، وأجلسه فوق بغلة، واهتم السلطان بالرؤيا التي سرعان ما فُسرت في صباح اليوم التالي بتوليه العرش.[٧٢] وبعد ذلك بفترة بسيطة هناك رواية عن حلم رآه سيف الدين قطز يبشره فيه النبي صلى الله عليه وسلم بالحكم والنصر على التتار،[٧٣] ولم تكن المواساة والتشجيع في الأحلام حكراً على الملوك والقادة بل امتدت لتشمل شخصيات بارزة من العلماء والفقهاء في العالم الإسلامي،[٧٤] بل وحتى امتدت تلك المواساة إلى مجرمين صحت ضمائرهم في لحظات معينة، فظهرت رؤيا للحكام تأمر بالعفو عنهم.[٧٥]وهكذا كانت الأحلام تعلب دوراً سياسياً مهماً لدرجة أنه حوالي ٧٠١م، تم

---

[٧٠] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق كمال حسن مرعي، ٤ أجزاء، بيروت ٢٠٠٥م، ج٣، ص ٢٨٧.

[٧١] ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٣، ص ٣٢٥.

[٧٢] ابن بيبي، أخبار سلاجقة الروم، ص ١٠٣، ١١٧.

[٧٣] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٣ أجزاء، حيدر آباد، ١٩٥٤م، ج١ ص ٣٨٢-٣٨٣.

[٧٤] تروي المصادر عن الإمام الشافعي أنه رأى النبي صلي الله عليه وسلم في المنام يخبره بمحنة أحمد بن حنبل في خلق القرآن، ويطلب منه أن يكتب له يصبره ويبشره. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٣، ص ١٨٨.

– كذلك ابن نباته المتوفي ٣٧٤هـ، الذي كان خطيب حلب لسيف الدولة الحمداني، وكان من أكثر الناس حثاً على الجهاد ضد الروم، وقيل إنه رأى النبي صلى الله عليهم وسلم في المنام مخاطباً له "مرحبا بخطيب الخطباء"، ثم تفل في فيه. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٤، ص ٣٩٨.

[٧٥] المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص ٧٨-٧٩.

نفي أحد القادة واسمه فيليبيكوس Philipikos (والذي أصبح إمبراطوراً بعد ذلك ٧١١-٧١٣م) لأنه حلم أنه سوف يصبح إمبراطورا وأذاع ذلك، الأمر الذي أخذته السلطات مأخذ الجد تماماً، وأمرت بنفيه عقاباً له على هذا الحلم. [٧٦] وفي العالم الإسلامي يظهر أرسطو الفيلسوف اليوناني المعروف للخليفة المأمون في منامه، ويعلمه الحكمة والمنطق، ومن ثم أصبح المأمون شغوفا بالكتب، "فكان هذا المنام من أوكد الأسباب في إخراج الكتب".[٧٧]

ومن ناحية أخرى تتشابه بيزنطة مع العالم الإسلامي في سلسلة من الأحلام تظهر لكثير من الحكام قرب وفاتهم أو نهايتهم، وأحيانا ما كانت عبارة عن بشارة، بينما في حالات ثانية في شكل موعظة أو تقريظ أو لوم، فما تمر أيام قليلة حتى يتوفي الخليفة أو الإمبراطور. فهناك رؤيا عثمان بن عفان رضى الله عنه قبيل مقتله. [٧٨] أما الخليفة المهدي فقد رأى رجلا ينشده أبيات من الشعر رثاء لقصره ومن فيه، وعاش المهدي بعدها أياماً قليلة ثم مات.[٧٩] بينما رأى هارون الرشيد في منامه أنه يموت في طوس.[٨٠] أما جعفر البرمكي الوزير المشهور في عصر الرشيد فقد أخذته سِنة نوم فسمع هاتف يُنشد بيتا من الشعر في التحسر، فاستيقظ وقال ذهب والله مُلكنا.[٨١] وبعد فترة قصيرة وفي اللحظات الأخيرة من حياة الخليفة الأمين رأى في المنام كأنه على جدار يهدمه طاهر بن الحسين قائد جيش أخيه المأمون.[٨٢] ولعل النهاية الدرامية لحياة الأمين قد أوحت لبعض النساخ بتأليف أحلام ورؤى عن مصيره التعس، فيروي المسعودي أن زبيدة أم الأمين حال حملها به، حلمت في أول الحمل بثلاث جواري جلسن عند رأسها وصرن يعددن في مناقب الأمين، ومنهن واحدة، تنبأت بعزله وقتله.[٨٣] وتشابه الأمر مع الخليفة المتوكل الذي رأى قبيل مقتله أن دابة تكلمه، فخشي الناس تفسيرها له، لأنهم نسبوها إلى الأية الكريمة " وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا

---

(٧٦) Theophanes, *Chronographia*, p. 519.

(٧٧) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٠٤. انظر أيضا: أنا ماري شميل، أحلام الخليفة، ص ١٥٩.

(٧٨) ابن ابي الدنيا، كتاب المنامات، ص ٢٨٥.

(٧٩) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص ٣١٠.

(٨٠) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٣٤٣؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٣، ص ٢٦٦.

– ذكرها ابن مسكويه طرسوس ولعلها تحريف من الناسخ أو خطأ من المحقق.

(٨١) مسكويه، تجارب الأمم، ج٣، ص ٣٦٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص ٣١٠.

(٨٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج٣، ص ٣٣٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص ٤٦٣.

– لم يذكر الطبري هذه الرواية في تاريخه. كما لم يذكرها المسعودي أيضا في مروج الذهب.

(٨٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٣٢٠-٣٢١.

– أشارت أنا ماري شيمل، إلى أن عدد الجواري الثلاث هنا في الغالب يوازي أو ربما يماثل النسوة الثلاث في الأساطير الرومانية القديمة اللاتي كن مسئولات عن تحديد مصير المولود. أحلام الخليفة، ص ٢٠٤.

يـُوقِـُونَ"[٨٤] أي أنها نذير بموته سريعاً . [٨٥] وقد تشير الرؤيا إلى كيفية الوفاة، فقد قيل إن عمر بن الخطاب رأى ديكا ينقره، فـُفسر الحلم بأن أعجميا فارسياً سيقتله، وهو ما حدث.[٨٦] أما على بن أبي طالب كرم الله وجهه فقيل أنه رأى في المنام النبي صلى الله عليه وسلم يبشره بالشهادة وبخضب ذقنه من دم رأسه، وهو ما حدث بالفعل بعد فترة بسيطة حين قتله أحد الخوارج.[٨٧]

كما أن المصادر المسيحية الشرقية، وبالتحديد ابن العبري، يروي أن جنكيزخان، عندما غضب بعد أن غدر والي خوارزم شاه بسفرائه وتجاره، رأى في منامه شيخا يرتدي ملابس الرهبان يطمئنه على نفسه، ومن ثم استغل الفرصة بعض المسيحيين وأوحوا إليه بأن ذلك الرجل من القديسين، وترتب على تلك الرؤية – حسب رواية ابن العبري– أن جنكيزخان قد عامل المسيحيين معاملة طيبة. [٨٨] ومن المحتمل بطبيعة الحال ترويج مثل تلك الرواية لنيل مزيد من التعاطف المغولي تجاه طوائف معينة خاصة الأرمن والسريان وغيرهم من المسيحيين الشرقيين.

كانت الأحلام بما لها من شعبية طاغية ومصداقية مؤكدة خير وسيلة للدعاية السياسية للحكام، سواء في بيزنطة أو العالم الإسلامي، ففي بيزنطة تروي المصادر البيزنطية أن هيلانة Helenaأم الإمبراطور قسطنطين الأول قد رأت في الحلم هاتف يأمرها بالذهاب إلى بيت المقدس لكشف الصليب المقدس المدفون في مكان خفي في أرض فلسطين.[٨٩] وبالتأكيد فإن مثل هذا الحلم – سواء أكان حقيقياً أم لا– قد أسهم في الدعاية السياسية لقسطنطين وأسرته وعصره. أما يوحنا تزيمسكس، قاتل سلفه ومغتصب العرش، فقد كانت الأحلام بما تحمله من رسالة روحية أمراً ضرورياً لغسيل سمعته، وتأكيد شرعية حكمه المغتصب، فعند حصار الروس للقسطنطينية، رأت راهبة شابة السيدة مريم في المنام تأمر أحد القديسين بالإسراع بمساعدة يوحنا وحماية القسطنطينية.[٩٠] وبعد النصر عاد الإمبراطور إلى القسطنطينية في موكب نصر كبير، وبدلاً من أن يركب هو عربة أُعدت لها، حملها بأيقونة كبيرة للسيدة العذراء.[٩١] ولاحقا

---

[٨٤] سورة النمل، ٨٢.

[٨٥] ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٣، ص ٢٢٠–٢٢١.

[٨٦] أن ماري شيمل، أحلام الخليفة، ص ١١٢.

[٨٧] ابن أبي الدنيا، كتاب مقتل على بن أبي طالب، في الجزء السابع من موسوعته، ص ٢٩.

– هناك رواية مماثلة عن الحسين بن على. ابن أبي الدنيا، كتاب المنامات، ص ٢٤٠. وروايات أخرى بصيغ مختلفة تخص مقتل الحسين، نفسه، ص ٢٤٧–٢٤٨.

[٨٨] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٣٠.

[٨٩] Theophanes, *Chronicle*, p. 37.

[٩٠] *Leo the Deacon*, pp. 197-198; Skylitzes, *Synopsis*, p. 292.

[٩١] *Leo the Deacon*, p. 201.

تروي المصادر أن رومانوس ليكابينوس Romanos I Lekapenos (٩٢٠-٩٤٤م) – وهو أيضا يمكن اعتباره مغتصبا للعرش– قد رأى نفسه في المنام عارياً تجره مخلوقات شيطانية إلى نيران مشتعلة، إلا أن السيدة مريم قد تدخلت وأمرتهم بإطلاق سراحه بسبب الصداقات التي يهبها، وكان تطبيق الحلم في الواقع سريعاً بهبة ضخمة لأحد الأديرة.[٩٢]

وفي العالم الإسلامي يحظى نور الدين محمود بمكانة خاصة في عالم الرؤى، ولعل السبب في ذلك إلى جانب بطولته وتقواه الشخصية، أنه كان مقرباً من الصوفية، فتروى المصادر أنه احتاج مالاً وتعفف عن قطع أرزاق الفقهاء والصوفية وفكر في الاقتراض من الأغنياء، فرأى هاتف في منامه يحذره من ذلك، فأصبح الصبح وقال لا حاجة لنا في أموال الناس، أما الفرنج فقد رحلوا من تلقاء أنفسهم.[٩٣] أما الحلم الأشهر فهو الرواية التي نسبتها بعض المصادر إليه بأنه رأى في المنام الرسول صلي الله عليه وسلم يستنجده من شخصين أشار إليهما، فتحرى الأمر حتى وصل إلى شخصين مغربيين أرادا نهب القبر الشريف، فقبض عليهما واعترفا، وعلى حد قول ابن العماد الحنبلي أن مثل هذا لا يجرى إلا لولي الله، الدعاء عند قبره مستجاب.[٩٤] ولم تكن تلك المرة الأولى التي يظهر فيها تأييد من ظهر الغيب لنور الدين محمود بشكل خاص ومن ذلك ما يرويه أبو شامة عن نور الدين محمود، أن أحد الشيوخ رأى ليلة خروج الفرنج من دمياط[٩٥]، أن الفرنج قد خرجوا منها في تلك الليلة، ولتأكيد الحلم، طلب الشيخ – في منامه – من الرسول أن يعطيه علامة أو أمارة حتى يصدقه نور الدين محمود، فقال له بأمارة دعوته " يا رب انصر دينك ولا تنصر محمودا، من هو محمود الكلب حتى ينصر؟" وفرح نور الدين محمود بتلك الرؤيا فرحا شديداً . وقد أورد أبو شامة نفس موقف دعاء نور الدين بصورة مختلفة قليلة عن

---

(٩٢) *Theophanes Continuates*, ed. Bekker, p. 438. Cf. also, P. Magdalino, "The Historiography of Dreaming in Medieval Byzantium", in: *Dreaming in Byzantium and Beyond,* p. 129.

(٩٣) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص ٣٠٣.

(٩٤) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص ٣٨٠-٣٨١.

(٩٥) – تبدو هذه الرواية في الغالب من إنشاء كتاب متأخرين يَغلب عليهم التصوف، فلم يَذكر ابن الأثير في تاريخه "الكامل"، هذه الرواية في ترجمته لنور الدين محمود عند وفاته عام ٥٦٩ هـ، ولا في كتابه المُوسع عن الدولة الأتابكية، الذي خَصص فيه أربَع عَشرة صَفحة كاملة للحديث عن مناقب نور الدين، وكان وهو ربيب الدولة الأتابكية حَري أن يكتب من مناقب نور الدين، كما لم يذكرها أيضا ابن خلكان في ترجمته لنور الدين محمود. التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، ص ١٦١-١٧٥؛ نفسه، الكامل، ج١٠، ص ٥٦-٥٨؛ وفيات الأعيان، ج٥، ص ١٨٤-١٨٨.

موضع رواية الحلم.[٩٦] ومرة ثانية، يظهر نور الدين في رؤيا لأحد أتباعه، الذي رآه يكلف هذا التابع بغسل ملابس نور الدين، وفي هذه المرة فسرها نور الدين نفسه بأنها تمثل غسل الذنوب، وما من ذنوب أقبح من المكوس فأمر بإبطالها.[٩٧] أما أحمد بن طولون (٨٦٨-٨٨٤م) فقد ارتبطت بشخصه – سلبا وإيجابا- العديد من الروايات حول الأحلام، فتروي بعض المصادر أنه حلم بالوعد بالتعويض عما ينفقه وكان الوعد من أحد الزهاد في الثغور.[٩٨] وكذلك ظهرت بعض الروايات حول مسجده، وأولها أن نارا قد نزلت من السماء فأخذت المسجد فقط دون ما حوله، وفُسر له ذلك على تقُبل الله لهذا العمل، حيث كانت النار في القديم تنزل لتأكل القرابين المقدمة.[٩٩] وكذلك حلمه بأن الله سبحانه وتعالى قد تجلى لجميع ما حول المسجد، دون المسجد فقط، ففُسر له ذلك في ضوء الآية الكريمة " فلما تجلى ربك للجبل جعله دكا" أي أن جميع ما حول الجامع سوف يدمر، ماعدا المسجد.[١٠٠] بينما رأى العاضد (١١٦٠-١١٧١م) آخر الخلفاء الفاطميين في منامه أن عقربا يخرج إليه من أحد المساجد، فسأل الناس تفسير ذلك، فقيل له يخرج من هذا المسجد إنسان يصيبك منه مكروه، فطلب من يقيم في هذا المسجد فلم يجدوا سوى أحد فقراء الصوفية، فلم يعبأ به العاضد إذ رأى منه ضعفا وسوء حال، ولم يتصور أي أمر يستطيعه ذلك الفقير. فلما دارت الأيام وتملك صلاح الدين، عقد مجلسا مع رجال الدين للمشاورة في أمر العاضد، فكان أشدهم عليه، هذا الصوفي الفقير.[١٠١]

ومثلما كانت الأحلام تستخدم للدعاية لصالح الحكام والأسر الحاكمة، فإنها استخدمت في مناسبات أخرى كثيرة كنوع من الدعاية السياسية المضادة ضد حكام وأمراء سواء على الجانب هذا أم ذلك. تروي الحولية الفصحية أن جوليان Julian (٣٦١-٣٦٣م) أثناء حملته ضد الفرس، وبينما كان نائما في الخيمة الإمبراطورية، رأى في منامه رجلا يطعنه بحربة في جنبه، فاستيقظ مذعورا ليجد نفسه مجروحا بجروح قاتلة مات فيها.[١٠٢] وعن جوليان أيضا تروي نفس الحولية أن القديس باسيل أسقف قيصرية Basil of Caesarea، قد رأى في منامه ليلة مقتل جوليان، السيد المسيح على العرش، وبجانبه القديس ميركوريوس Mercurius، وكان مرتديا

---

[٩٦] أبو شامة الروضتين، ج١، ق٢، ص ٣٤٢.

[٩٧] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣٩، ص ٣٨١-٣٨٢.

[٩٨] ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ٧٧-٧٨.

[٩٩] ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ٧٩.

[١٠٠] ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ٧٩؛ المقريزي، ٣، ص ١٩٥.

[١٠١] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص ٣٢٩-٣٣٠؛ أبن ايبك الدوادار، كنز الدرر، ج٧، ص ١٤.

[١٠٢] *Chronoican Paschale*, p. 40.

ملابس عسكرية، فأمره المسيح بالذهاب وقتل جوليان الذي هو ضد المسيحيين، وبالفعل أعلن بعد قليل عن مصرع جوليان.[١٠٣] ولم تتوقف رسائل الانتقام السماوية عبر الأحلام في بيزنطية فبعد مقتل البطريرك ماسيدونيوس Macedonius (٤٩٥-٥١١م) المزعوم على يد الإمبراطور أنستاسيوس الأول رأى أحد صغار رجال الدين البطريرك في المنام يُحمله رسالة إلى الإمبراطور بمسئوليته عن مقتله، وبالوعد بالتحاكم أمام الله.[١٠٤] ورغم أن هذا الاتهام – كما أشار مترجمي ثيوفانيس – كان غير مؤكد بمسئوليته عن قتل البطريرك، إلا أن رواية الحلم تمثل بالتأكيد مرحلة من التشويه للإمبراطور المكروه من رجال الدين. تروي سير القديسين في بيزنطة أن أحد الرهبان قد رأى في المنام الإمبراطور ثيوفيلوس يتوسل إليه قائلا" أيها الراهب ساعدني" فتنبأ ذلك الراهب بوفاة الإمبراطور في نفس الليلة كما حدث فعلا.[١٠٥] أما الثوار أمثال برداس سكليروس Bardas Skleros فقد ظهرت الأحلام كدعاية ضده، فقد رآه راهب في منام له، وسيدة ذات مظهر خارق – لعلها السيدة مريم– تعطيه السوط الإمبراطوري، وفسرها برداس على أنها السلطة الإمبراطورية، إلا أن سكليتزيس رأى فيها نوعاً من اللعنة تحل بالرومان.[١٠٦]

وفي بيزنطة، فقد كانت الأحلام والرؤى، وسيلة أو واسطة لنوع من الوحي أو التحذير الإلهي – إن جاز أن نستخدم هذا التعبير– للحكام الذين خرجوا عن المذهب الأرثوذكسي، إذ يروي ثيوفانيس، المؤرخ البيزنطي، أن الإمبراطور أنستاسيوس الأول Anastasios I (٤٩١-٥١٨م) المُهرطق من وجهة نظر المؤرخ، رؤيا أن رجلا أتى إليه بكتاب، وقال له، بالنظر إلى اعتقاداتك المهرطقة، فسوف أمحو ١٤ عاما !!، ثم فسر الحلم بقرب وفاة الإمبراطور"[١٠٧] ومرة أخرى رأى نفس الإمبراطور أن خنزيرا يدفعه ويقتله، ولما تم استدعاء مفسر الأحلام، أول ذلك بمقتل الإمبراطور.[١٠٨]وقد أشار كالفونوس إلى أن تلك الرواية تمثل تمهيداً تاريخياً لشرعية حكم جستين الأول الذي لم يكن من أسرة ملكية، ورسالة – سياسية– بعدم رضا السماء عن أنستاسيوس وسياسته الدينية.[١٠٩]

---

(١٠٣) *Chronoican Paschale*, p. 42.

(١٠٤) Theophanes, *The Chronicle*, p.284.

(١٠٥) Talbot, A. (ed.) *The Byzantine Defenders of Images*, p. 210.

(١٠٦) Skyliztes, Synopsis, p. 301.

(١٠٧) Malalas, *Chronicle*, p. 229; *Chronicon Paschale*, p. 102; Theophanes, *Chronographia*, p. 248.

– الحلم نفسه يتشابه إلى حد كبير مع رواية سلجوقية لاحقة عن طغرل بك الذي كان يحلم بعمر طويل، فهاتفه هاتف في منامه أن لك سبعين عاماً فقط رغم إلحاحه. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥، ص٦٧.

(١٠٨) Theophanes, *Chronicle*, p. 248.

- نلاحظ من هذه الرواية وجود أشخاص معروفين لدى البلاط الإمبراطوري بأنهم مفسرو أحلام.

(١٠٩) Calofonos, G. "Dream Narratives", p. 141.

كما أن موقف الأباطرة من الأيقونات وتحطيمها قد دفع الكثير من الرهبان والمؤرخين البيزنطيين إلى استخدام سلاح الرؤى المقدسة كنوع من الدعاية ضد أولئك الأباطرة، إذا يروي سكليتزيس أن أم الإمبراطور ليو الخامس الأرميني – من محطمي الصور والأيقونات– قد رأت قبل مقتله أن عذراء تحمل حربه ويحوطها شخصان في زي أبيض– غالبا يمثلان ملائكة–، وأن الكنيسة كانت غارقة في الدماء، فأمرت العذراء أحد مرافقيها أن يملأ وعاء بالدم لتشرب منه والدة الإمبراطور، ولما استنكرت ذلك تلك الأخيرة، وأعلنت أنها منذ ترملها لم تمس دماً، قالت لها العذراء غاضبة "لماذا لا يتراجع ابنك – أي الإمبراطور – عن إغراقي بالدم وإغضاب ابني الرب – أي المسيح؟"، ومنذ تلك الرؤية سعت الأم لدى ابنها للتراجع عن موقفه تجاه تحطيم الصور والأيقونات.(١١٠) ولم يتوقف الأمر عند هذه الرؤية فقد رأى الإمبراطور نفسه أحد رجال الدين وهو البطريرك تاراسيوس Tarasios (٧٨٤–٨٠٦م) ، الذي توفي من فترة، وهو يأمر شخصا اسمه ميخائيل – نفس اسم من اغتال الإمبراطور بعد ذلك– ويأمره بتوجيه ضربة قاتلة للإمبراطور عدو الصور والأيقونات.(١١١) وفي الرواية السابقة، لم يكن اختيار تاراسيوس من فراغ فهو بطل عودة الأيقونات والصور خلال عصر قسطنطين السادس وايريني. وتكاد الرواية نفسها تتكرر بنفس الطريقة والسيناريو، ولكن هذه المرة مع بارداس Bardas رجل الدولة القوى وخال الإمبراطور ميخائيل الثالث، وذلك قبيل مقتله، حين رأى نفسه في الكنيسة مع الإمبراطور الصغير، وعلى العرش الكبير جلس بطرس كبير حواريي المسيح، وتحت قدميه البطريرك إجناتيوس Ignatius (٨٤٧–٨٥٨م، ٨٦٧–٨٧٧م)، والذي عزله بارداس من قبل، وهنا يشير إليه رجل الدين العجوز بأنه "الرجل الذي أغضب الرب ثم يأمر بتقطيعه إرباً "، أما الإمبراطور الصغير، فقد تأجل حسابه لوقت آخر.(١١٢) وفيما يتعلق بالأيقونات بشكل خاص، فقد امتدت الأحلام لتشمل جنوداً عاديين، فيروي ثيوفانيس، أن جنديا بيزنطيا من أنصار تحطيم الأيقونات قد ألقى بحجر على أيقونة للسيدة العذراء، فظهرت له في المنام توبخه وتحذره من أن ما فعله سوف ينقلب ضده هو شخصيا، وفي اليوم التالي شج حجر ضخم رأس الجندي نفسه.(١١٣) وبعد تلك الرواية السابقة بفترة من الزمن، وبالتحديد في عصر الإمبراطور ميخائيل الرابع البافلاجوني Michael IV the Paphlagonian (١٠٣٤–١٠٤١م) وحين ظهر الجراد بالقرب من القسطنطينية وأكل الأخضر واليابس، كان التفسير الديني المفعم بالدعاية ضد الإمبراطور، تجلي

---

(١١٠) *Theophanes Continuatus*., pp. 57-59; *Skylitzes*, p. 23. Cf. also, Calfonos, G. "Dream Narratives in the Continuation of Theophanes", in: *Dreaming in Byzantium and Beyond,* pp. 95-124.

(١١١) *Theophanes Cont*., p.59; *Skylitzes*, p. 23.

(١١٢) *Skylitzes*, p. 112; *Theophanes Cont*., pp. 289-29.

(١١٣) *Theophanes*, p. 562.

في رؤية لأحد خدم الأسقف بأن خصياً أبيضاً ألقي بثلاث غررات بها كل الشرور من ثعابين وعقارب، أعلن بأن ذلك رسالة من الله غضباً لعصيان أوامره ولتدنيس فراش الزوجية (لزوي ورومانوس Romanos III).[١١٤]

أما في العالم الإسلام فهناك العديد من الأمثلة يبدو فيها تأليف هذا النوع من الأحلام واضحاً بغرض تشويه صورة حاكم ظالم، فحين تآمر ابن المتوكل عليه رأى أباه في المنام يعاتبه "ظلمتني وقتلتني، والله لا متعت بالدنيا بعدي". [١١٥] وهناك عدة روايات أقرب للسخرية قيل إن البعض رأى الحجاج بن يوسف الثقفي في المنام، وقد عُذب عذاباً شديداً إلا أنه مع ذلك لم يتخل عما كان عليه في الدنيا من شراسة وحِدةَ.[١١٦] كما قيل أن الحجاج بن يوسف الثقفي قد ظهر في المنام فسأله عن أحواله فقال قتلني الله بكل قتله قتلتها وبسعيد بن جبير سبعين قتله.[١١٧] وفي أرمينيا ومع شدة قبضة الخليفة المنصور عليهم وقسوة ولاته في معاملة الأرمن، ظهرت الأحلام كجزء من الدعاية الأرمينية ضد هذا الخليفة، فقد رأى أحد الكهنة الأرمن الخليفة قبيل وفاته وقد جاء به جنديان ودفعاه في قرارة بئر مشتعلة وأقفلا عليه الباب. [١١٨]

كما كانت الأحلام شرقا وغربا، تظهر في أوقات معينة لحسم جدل سياسي أو توصيل رسالة سماوية في قضية سياسية معروضة. فعندما احتدم الجدل في بيزنطة حول جدوى حملة عسكرية ضد الوندال في شمال أفريقيا، وتردد الإمبراطور جستنيان أمام تحذيرات وزير ماليته وغيره، ظهر أحد الرهبان ليحكى عن رؤيا ظهر فيها الله نفسه يوبخ الإمبراطور ويكلفه بتحرير المسيحيين في ليبيا من الطاغية، فقُضي الأمر وحُسم الخلاف، وخرجت الحملة العسكرية فعلا.[١١٩] ومرة ثانية عندما احتدم الجدل بين كنيسة الإسكندرية وكنيسة بيزنطة حول مشكلة طبيعة السيد المسيح ومجمع خلقدونية ٤٥١م، كان سلاح الأحلام جاهزاً لتشويه السمعة ودعم

---

(١١٤) Skylitzes, Synopsis, p. 372.

(١١٥) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٣، ص ٢٢٥.

(١١٦) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص ٣٠٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٥٥٣.

(١١٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٤٦٤؛ النويري السكندري، الإلمام بما جرت به الأحكام، ج٤، ص ٣٢٣.

(١١٨) غيفونت، تاريخ الراهب غيفونت (٦٣٢-٧٨٧م) تعريبه ودراسته في العلاقات العربية الأرمنية حتى القرن العاشر الميلادي، رسالة دكتوراه أعدها جان جاك سلمانيان، جامعة القديس يوسف، بيروت ١٩٩٤م، ص ١٧٠.

(١١٩) Prokopios, *The Wars of Justinian*, Translated by H. B. Dewing, introduce and revised by A. Kaldellis, Indianapolis 2014, III, 10. 18-21, p. 168. ; Cf. also, Anagostakis, I., "Prokopios Dream before the Campaign against Libya", in *Dreaming in Byzantium and Beyond* , p. 83.

وجهة نظر أحد الفريقين، ليقرر البعض ببساطة أنه رأى في منام أن ما يعانيه أهل الاسكندرية كان بسبب رفضهم لمجمع خلقدونية.[١٢٠]

والأمر نفسه في العالم الإسلامي فقد كانت الرؤى جاهزة كسلاح يُستخدم في الخلافات السياسية والفقهية والمذهبية،[١٢١] وبطبيعة الحال فإن ربط مثل هذه الأحلام بشخصيات كبرى مثل الرسول صلى الله عليه وسلم أو على بن أبي طالب يعطيها المزيد من المصداقية والثقة، والقوة لتصبح أداة سياسية فعالة. فبعد العصر الأموي ونهاية دولة بني أمية ظهر العديد من الروايات في الكثير من المصادر الإسلامية، خاصة ذات التوجه الشيعي أو العباسي عموما، منها رواية تكررت بصيغ مختلفة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى بني أمية– أو بني الحكم أو بني العاص– "ينزون على منبره كما تنزو القردة، فما رؤى ضاحكاً بعدها أبدا"، ثم نزلت بعد ذلك الآية القرآنية " وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ".[١٢٢] وتضيف بعضها أن تلك الشجرة هي بني أمية، وفي روايات أخرى أن النبي أُوحِي إليه بعدها إنما هي دُنيا أعطوها فقَرَّ عَينهُ.[١٢٣]

وحتى بين أفراد الأسرة الواحدة فإن الخلافات المذهبية الشرسة كانت تستخدم فيها الأحلام كنوع من التشويه للخصم وتأكيد صحة مذهب أو فكر ضد آخر.[١٢٤] وفي عصر الفتنة وحين كثر الخوض في السير كانت الأحلام تظهر كسلاح تحذيري لذوي الألسنة المنفلتة ومن يخوض

---

[١٢٠] Theophanes, *The Chronicle*, pp. 245- 246.

[١٢١] عن توظيف الأحلام في التشيع الشعبي والنزاع بين الشيعة والسنة، انظر: محمد السيد محمد فياض، "التشيع الشعبي في العراق" (٦١– ٦٥٦هـ / ٦٨٠ – ١٢٥٨م) دراسة تاريخية، رسالة دكتوراه، جامعة طنطا ٢٠١٣م، الفصل الخامس، ص ٣٠٦–٣٢٢.

[١٢٢] الإسراء. ٦٠.

[١٢٣] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٧، ص ٢٦٥–٢٦٧؛ المقريزي، التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، رسائل المقريزي، ص ٥٢– ٥٣؛ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، مسند أبي يعلى ، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤، عدد الأجزاء: ١٣، ج ١١ ، ص ٣٤٨، حديث رقم ٦٤٦١ ، (قال أنه حديث صحيح)؛ أبو عبد الله للحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠، عدد الأجزاء: ٤، ص ٥٢٧ ، رقم الحديث ٨٤٨١، (حديث صحيح).

[١٢٤] مثل ما يرويه المسعودي عن النزاع بين دلف بن أبي دلف وأبيه حول قضية التشيع، عندما رأى أباه في المنام في أسوا حال ممكنة وقال له أبيات فيها تعريض بوالده وحسابه العسير في العالم الآخر. مروج الذهب، ج٤، ص ٥٢.

في سير الرعيل الأول من الصحابة.[١٢٥] بينما كانت الأحلام أيضا مادة سخرية لاذعة في حق بعض الحكام المسلمين، فمنها مثلا ما رُوِي أن أحمد بن طولون في رؤيا لأحد الشيوخ طلب منه ألا يقرأ القرآن على قبره، بدعوى أن ابن طولون كان يُعذب بكل آية يقرآها هذا الشيخ.[١٢٦] كما أن الأحلام صارت أحيانا من دعابات البلاط من السخرية والتهريج.[١٢٧]

وأما في الفترات المتأخرة فقد ظهر الكثير من الرؤى، وبشكل أخص بين الصوفية الذين أولوا الرؤى اهتماما خاصاً، إذ يعتبرها ابن عربي شيخهم الأكبر "أن قلب النائم يصبح وقد اتصل بالعالم العلوي، هذا الاتصال أشبه شيء بمجرى غير مضطرب من الماء الصافي، ينعكس عليه ما هنالك من صور الحقائق النورانية". ولعل من الروايات الطريفة ما رواه ابن عربي عن أحد الفقهاء الذي رأى الرسول صلى الله عليهم وسلم في المنام وخلفه أبوبكر رضى الله عنه، فسأل أبا بكر عن ترتيب الأئمة عندكم – أي في السماء– فقال اللاحق بنا أحمد بن حنبل، ثم الشافعي، ثم مالك، ثم أبو حنيفة".[١٢٨] وهناك أمثلة كثيرة استخدمت فيها الأحلام لحل بعض المشاكل والقضايا الفقهية.[١٢٩]

أما وقت الحرب والشدة فقد كانت الأحلام والرؤى تظهر للملوك والقادة، لتشد أزرهم وتبشرهم بالنصر، وفي كثير من الأحيان كانت تلك الرؤيا تظهر لأحد الصالحين الذي يسارع إلى بشارة الحكام بالنصر وقت الشدة، ولعل قصة حربة أنطاكية التي ادعى أحد صليبي الحملة الأولى أنه رأى في المنام الحربة التي يعتقد أن السيد المسيح قد طُعن بها، وكان للقصة دور كبير في رفع معنويات الجنود وشد أزرهم. وعلى الجانب الإسلامي يروي ابن عبد الظاهر عن أبيه، أنه أثناء حصار الصليبيين لدمياط، رأى بعض الصالحين الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه في المنام، حيث قال له أتيت اليوم لنجدة المسلمين في دمياط، وسُجل ذلك اليوم،

---

[١٢٥] أورد ابن أبي الدنيا في كتابه المنامات، عدة أمثلة على تعذيب أو تشويه أناس خاضوا في سيرة على بن أبي طالب وأبوبكر وعمر رضى الله عنهم. ص ٢٧٣- ٢٧٤، ٢٩٢.

[١٢٦] ابن العماد الحنلبي، شذرات الذهب، ج٣، ص ٢٩٦–٢٩٧.

– الغريب أن هناك روايات عن حلم ظهر فيه الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر ابن طولون بإنشاء مسجده هذا. آنا ماري شميل، أحلام الخليفة، ص ٣٦٦.

[١٢٧] يروي المسعودي عن أحد جلساء الخليفة المتوكل الذي توفي حماره فرآه في المنام وسأله عن سبب موته فقال له أنه مات عشقا بسبب حمارة رآها، وأصبح الموضوع سخرية بلاط الخليفة. مروج الذهب، ج٤، ص ٧٦.

[١٢٨] ابن العربي (ت ٦٣٨هـ) محي الدين، رسالة المبشرات المنامية، تحقيق ودراسة حياة قارة، AAM, 17 (2010) PP. 91-119. (جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب)، ص ١١٠.

[١٢٩] أورد ابن أبي الدنيا في كتابه المنامات عدة أمثلة على سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام في قضايا فقهية استعصت على الناس.

واتضح بعد ذلك أنه يوم انتصار المسلمين.[١٣٠] كما يروي ابن بيبي المؤرخ السلجوقي أن السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباد (١٢٢٠-١٢٣٧م) قد حلم بالنصر أثناء محاصرة قلعة أنطاليا الحصينة، فاستبشر بذلك ونشر الأمر بين جنوده فزاد من عزيمتهم.[١٣١]

وفي بيزنطة كانت البشارة بالنصر أمراً غاية في الأهمية لرسوخ الاعتقاد في القوى العلوية وتدخلها لصالح المؤمنين وقت الشدة والأزمات، فخلال هجوم الروس عل بيزنطة في عصر حنا تزيمسكس John I Tzimiskes (٩٦٩-٩٧٦م) رأت سيدة من الطبقة العادية السيدة العذراء مريم تحث أحد القديسين (ثيودور) إن "صديقي وصديقك حنا – أي الإمبراطور – في محنة اذهب بسرعة لمساندته".[١٣٢] وبطبيعة الحال سرعان ما انتشر الخبر بين الناس. أما ألكسيوس كومنين Alexios I Komnenos (١٠٨١-١١١٨م) خلال حروبه مع النورمان، فقد رأى القديس ديميتريوس Demetrius يشد من أزره ويبشره بنصر قريب في الغد.[١٣٣] وعندما ظهر مذنب في السماء وبحث الإمبراطور اليائس عن تفسير لهذه العلامة الإلهية، استشار أحد رجال الدين، الذي أجل الرد حتى الغد، وفي منامه رأى أحد القديسين يفسر له الحلم بنهاية النورمان وانسحابهم.[١٣٤]

وعلى الجانب الآخر تلعب الأحلام دورا معاكساً في تثبيط همم المحاربين والملوك. وهنا هناك احتمالين، أولهما ترويج مثل هذه الرواية قبل المعركة نفسها، وفي هذه الحالة يمكن أن تكون نوعا من الحرب النفسية ضد الخصم، لتثبيط الهمم وكسر الإرادة. [١٣٥] وفي الوقت نفسه دافع لرفع الروح المعنوية لدى الطرف الآخر، أما ترويجها بعد المعركة فإنها في الغالب تمثل تبريراً ذا مسحة إلهية لهزيمة قاسية بوصفها كقدر لا يمكن الفرار منه. [١٣٦] فعلى الجانب البيزنطي يروي ثيوفانيس أن الإمبراطور كونستانس الثاني Constans II (٦٤١-٦٦٨م) قد

---

[١٣٠] ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ٩٥.

[١٣١] ابن بيبي، أخبار سلاجقة الروم، ترجمة محمد السعيد جمال الدين، القاهرة المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٧م، ص ١٢٢- ١٢٣.

[١٣٢] Skylitzes, *Synopsis*, p. 292.

[١٣٣] Anna Comnena, *The Alexiad*, translated by Elizabeth A. S. Dawes, (Cambridge - 2000) p. 91.

[١٣٤] Anna Comnena, *The Alexiad*, p. 218-219.

[١٣٥] على سبيل المثال تروي الحولية الفصحية أن سابور ملك الفرس عند حصاره لمدينة نصيبين تراءئ له في المنام طيف الإمبراطور قنسطنطينوس في المنام يدور حول المدينة الأمر الذي ثبط همته وجعله يتراجع عن تدمير المدينة. *Chronoican Paschale*, p. 28.

[١٣٦] حين فشل كسرى في حصار الرها في عصر جستنيان كان تبرير الهزيمة أنه رأى حلماً يُحذره بأن العار سوف يحيق به.

Prokopios, II. 26, 12, p. 129.

حلم عشية موقعة ذات الصواري Phoinix مع الأسطول الإسلامي عام ٦٥٣م أنه في تسالونيكا وليس في أرض المعركة في فونيكس، ففسرها له أحد الأشخاص بأنها تعني أن النصر سيكون للأعداء بناءاً على تلاعب لغوي بكلمة تسالونيكا في اليونانية. [١٣٧] وقد حاول دارس متخصص في الأحلام في بيزنطة تفسير علاقة الحلم بالهزيمة، ورأى فيه محاولة لغسل سمعة الإمبراطور من الهزيمة الساحقة، وإن كان يمثل في الوقت نفسه قدحاً في الإمبراطور الذي نام ليلة المعركة، ليحلم بدلاً من السهر للتخطيط العسكري.[١٣٨] ولعل أشهر هذا النوع من الأحلام هو الحلم المنسوب إلى الإمبراطور البيزنطي هرقل Herakleios (٦١٠-٦٤١م) قبيل معركة اليرموك مع المسلمين، وقد انقسمت الرواية إلى حلمين، الأول رأى فيه الإمبراطور شعباً مختون رجاله سوف ينتصر على الرومان، الأمر الذي فسره المفسرون بأنهم اليهود، غير أنه اتضح أن المقصود كان المسلمين؛ أما الحلم الثاني فقد رأى فيه هرقل فئرانا تأتي من الصحراء لتهاجم جيش الروم وتدمره. وقد انتشر ذلك الحلم بنسختيه في عدد من المصادر الشرقية والغربية معاً،[١٣٩] بينما خصص دافيد وودس D. Woods دراسة كاملة لهذا الموضوع استعرض فيها كل الروايات- من منطلق أن أي حلم ما هو إلا نوع من الأساطير لا يمت للحقيقة بسبب، [١٤٠] ورأى أن الحلم ليس بحلم بل هو انعكاس لحركة فئران فعلية جلبت الطاعون في بلاد الشام، الأمر الذي أصاب الجيش البيزنطي بكارثة صحية كانت هي السبب في الهزيمة الكبرى. ورأى أن المصدر اليوناني الأصلي قد اختلط عليه الأمر في تعبير περιτεμνόμενων φῦλον الذي قد يعني عند الترجمة إما "جنس مختون" أو كائنات أخرى قد تكون فئراناً، وأيا كانت صحة هذا التفسير، فإن الحلم هنا تم توظيفه من قِبل المؤرخين شرقاً وغرباً كنوع من قدر الله الذي لا يُرد. وقد وجد مثل هذا الحلم في نفس التوقيت طريقه إلى المصادر العربية ففي رواية الطبري أن كسرى حلم بهزيمة المسلمين له وبكسر ملكه فعزم على الهرب.[١٤١] وقد تداولت المصادر الإسلامية – وليس البيزنطية- روايات متأخرة عن أحلام مماثلة لبعض جنود الروم تنذر

---

(١٣٧) *Theophanes*, p. 482.

(١٣٨) Calofonos, G., "Dream narratives in Historical writing: Making sense of History of Theophanes Chronographia", in: R. Macrides, *History as Literature in Byzantium*, Ashgate (Surrey 2010), pp. 138-140.

(١٣٩) الطبري، ٢، ص ٦٤٦-٦٤٧ (أحداث عام ٦ هـ).

(١٤٠) Woods, D., "Jews, Rats, and the Battle of Yarmuk", in Lewin, A. A. et al (eds.), *The Late Roman Army in the Near East from Diocletian to the Arab Conquest*, proceedings of a colloquium held at Potenza, Italy, (Bar international 2007), pp. 367-376.

(١٤١) الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٥٢٩؛ الواقدي، فتوح الشام، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، بيروت، ١٩٩٧، ج٢، ص ١٨٥.

بالهزيمة قبيل تلك المعركة.[١٤٢] أما مانويل كومنين Manuel I Komnenos (١١٤٣-١١٨٠م) فقبيل هزيمته الساحقة في معركة ميريكيفالون Myriokephalon أمام السلاجقة عام ١١٧٦م، رأى في منامه أنه يعبر في سفينة ما بين آسيا وأوروبا حيث تهدمت عليها الجبال من الجانبين[١٤٣]. وعن نفس المعركة رأى أحد رجال الدين السيدة العذراء مريم وهي تحاول حث بعض القديسين على نجدة الإمبراطور، إلا أنها توقفت قائلة، فات الأوان وليس بمقدور أحد أن ينقذه.[١٤٤]

ومن المجالات التي تم توظيف الأحلام فيها أيضا الجدل الديني بين الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى.ولعل خير مثال على ذلك ما يُعرف برؤية النبي دانيال، أو بمعنى أدق رؤية الملك التي وردت في العهد القديم، فقد رأى نبوخذ نصر Nebuchadnezzar رؤية أزعجته وطلب تفسيراً لها، شريطة ألا يحكيها هو أي أن يعرفها المفسر من نفسه، ولم يكن بقادر على ذلك سوى دانيال الذي ألهمه الله رؤية الملك وتفسيرا لها.[١٤٥] كان لهذه الرؤية بالذات أهمية كبيرة في العصور الوسطى، فقد وجدت طريقها إلى الجدل الإسلامي المسيحي، الذي سعى كل جانب فيه إلى توظيف تحليله ورؤيته الخاصة للحلم الذي رآه هذا الملك، كدليل على صحة دعواه. [١٤٦] واللافت للنظر هنا أن معرفة المفسر مسبقا بالرواية نفسها، نلمس بعضه في

---

[١٤٢] الأزدي، فتوح الشام، ص ٢١٤-٢١٥؛ سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (المتوفى: ٦٣٤هـ)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم - والثلاثة الخلفاء، ٢ جزء، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، ص ٢٨٠.

- هناك رواية أخرى مماثلة تقريبا عن معركة الزلاقة في الأندلس. يروي ابن الأثير أنه قبيل معركة الزلاقة Battle of Sagrajas ١٠٨٦م بالأندلس رأى الأذفونش (ألفونسو السادس ملك قشتالة Alfonso VI (١٠٦٥-١١٠٩م) رؤيا أنه يركب فيلا ويضرب طبلاً، وطلب مفسر فلم يستطع أي من رجال الدين المسيحيين تفسيره، وطلب رجل مسلم عالم بتفسير الأحلام فامتنع عن التفسير، وبعد إلحاح الملك عليه فسر الحلم بهلاك الجيش المسيحي، وذلك بتأويل الرؤى من القرآن على الآيتين " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ" (الفيل ١) وقوله تعال في سورة أخرى ، فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ". (المدثر ٨-١٠) وبالفعل تحققت نبوءة ذلك المسلم، وسُحِقَ الجيش المسيحي في المعركة. الكامل، ج ٨، ص ٤٤٦ (٤٧٩هـ).

[١٤٣] Niketas Choniates, *Annals*, p. 191.

[١٤٤] Niketas Choniates, *Annals*, p. 191-192.

[١٤٥] العهد القيم، دانيال ٢.

[١٤٦] انظر على سبيل المثال: على بن ربن الطبري، الدين والدولة في اثبات نبوة النبي محمد، تحقيق عادل نويهض، بيروت ١٩٧٣م، ص ١٧٩-١٨٢. (أشار المؤلف في عنوان كتابه أن الخليفة العباسي المتوكل قد ساعده في الكتابة)

Theophanes, *The Chronicle*, p. 471.

روايات الأحلام في العالم الإسلامي، فهناك أكثر من رواية سياسية وردت في هذا البحث خصوصا رواية الحلم المتعلق بعبد الملك بن مروان، يظهر فيها المفسر على معرفة مسبقة بأن هذا الحلم يخص إما عبد الملك أو الزبير.

كما أن الأحلام كانت وسيلة أحيانا لكشف مواقع أثرية مهمة، تم توظيفها دينيا وسياسيا بعد ذلك، فبعد فتح القسطنطينية في ١٤٥٣م، عثر السلطان العثماني محمد الفاتح على قبر أبي أيوب الأنصاري الذي استشهد قرب أسوار القسطنطينية عام ٦٧٢م، وعن طريق حلم الشيخ آق شمس الدين كشف السلطان عن قبر أبي أيوب بعد كل تلك السنوات.[١٤٧] ومن المعروف أن لهذا القبر أهمية كبرى بالنسبة للأتراك، وخصوصا خلال فترة الدولة العثمانية، حيث كان وجود الضريح، وما يُعتقد أنه مخلفات عن النبي صلى الله عليه وسلم، أهمية دينية وسياسية معروفة لدرجة منع غير المسلمين من زيارته لفترة من طويلة من الوقت.[١٤٨]وعودة إلى بدايات العصور الوسطى وعلى الجانب البيزنطي، فإن أقدس المقدسات المسيحية، وهو الصليب المقدس، الذي يُعتقد أن السيد المسيح قد صلب عليه، قد عثرت عليه الإمبراطورة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين الكبير، في رحلة إلى الأراضي المقدسة في فلسطين، قادتها إليها الأحلام السماوية حسب تعبير المصادر البيزنطية. [١٤٩] كما تدخلت القوى العلوية عن طريق الأحلام أيضا لتكشف عن المكان نفسه، عبر رؤيا للأسقف مكاريوس حسب رواية ثيوفانيس.[١٥٠] ولاحقا وبعد فترة من الزمن وحال وصول ذراع أحد القدسيين في الطريق إلى القسطنطينية ظهر هذا القديس في المنام لبلوخيريا Plucheria السيدة القوية في البلاط ليبشرها بوصول الرفات الثمينة.[١٥١]

وعلى الجانب الإسلامي تنتشر هذه الظاهرة بكثافة سواء في الدعاية للأولياء أو للأماكن المقدسة، ربما تشجيعاً للزوار الذين كانوا يحملون معهم بطبيعة الحال خيرات لأهل هذا المكان. ومن هذا ما ترويه ملحمة فتح البهنسا الشعبية عن مقابر الصحابة هناك وعن ما توارد من أحلام ورؤى تبشر بكرامات ومعجزات أولئك الشهداء المدفونين في مقبرتها.[١٥٢] ومن الحالات

---

[١٤٧] محمود مقديش، (ت ١٨١٣م) نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ج٢، ص ٢٨-٢٩.

– أوردت أنا ماري شيمل، عدة أمثلة على شيوخ خصوصا من الصوفية ظهروا في المنام لبعض الناس ليكشفوا عن قبورهم المجهولة ومطالبين ببناء ضريح عليها. أحلام الخليفة، ص ٣١٣.

[١٤٨] "Abu Ayyub AL-Ansari", EI, vol. , pp. 108-109.

[١٤٩] Socrates, *Ecclesiastical History,* p. 46; *Theophanes*, p. 37.

[١٥٠] Theophanes, *The Chronicle,* p. 40.

[١٥١] Theophanes, *The Chronicle,* p. 136; *Chronicon Paschale*, p. 81.

[١٥٢] مؤرخ مجهول، قصة البهنسا حكاية غزوة، تحقيق ودراسة د. عمرو عبد العزيز منير، القاهرة ٢٠١٢. (الهيئة العامة لقصور الثقافة)، ص ٣٥٣-٣٥٣.

الجديرة بالانتباه لجوء المجتمع المسلم في الهند إلى روايات أسطورية تعتمد تماماً على الأحلام التي تروي عن ظهور النبي صلي الله عليه وسلم لبعض ملوكهم ومن ثم إسلام هذا الملك أو ذاك، وبطبيعة الحال فقد ظهرت هذه النصوص في فترة متأخرة، ولعل الهدف منها كان إضفاء نوع من القداسة والتبجيل أو ربما الهيبة على مسلمي تلك البقاع وربطهم بالنبي صلي الله عليه وسلم مباشرة. [١٥٣]

ومن ناحية أخرى لفتت آن ماري شيمل النظر إلى أهمية تكرار الحلم مرات ثلاث في الثقافة الإسلامية وأعطت أمثلة عدة على ذلك، كدلالة على تأكيد سماوي بصحة الحلم وثبوته، وخصوصا بين الصوفية،[١٥٤] والأمر نفسه نجده في بيزنطة مثلما جرى في حلم الراهب الذي صدرت إليه الأوامر ثلاث مرات بالخروج من الدير والاهتمام بذلك الفقير النائم على عتبة الدير، وهو إمبراطور المستقبل باسيل الأول، كما سبق عرضه.

وهكذا كانت الأحلام بكل ما يدور حولها من واقع وأساطير ورؤى تمثل أرضية مشتركة ما بين بيزنطة والعالم الإسلامي، اشترك فيها العالمان بقيم وأفكار متشابهة. والأهم أن توظيف تلك الأحلام– سواء أكانت حقيقية أم مُفتعلة –سياسياً، كان أمراً مشتركاً بين الكثير من حضارات العصر الوسيط، بل كانت هناك تطابقات ملفتة في هذا الشأن حين كان الأحلام تمثل أداة إعلامية للدعاية السياسية الإيجابية والمضادة، وسلاحاً بين الخصوم في القضايا السياسية والفقهية وغيرها. كما كان هناك تماثلات بين الصوفية وسير القديسين في التوظيف المكثف للأحلام واستخدامها بل والإفراط في توظيفها والاهتمام بها. فرغم كل الخصومات والنزاعات بين العالمين البيزنطي والإسلامي كانت هناك أسس حضارية مشتركة تتفاعل فيها الحضارتان وتتداخل في بوتقة واحدة غالبا ما تضم أيضا مؤثرات حضارية يونانية أو رومانية أو فارسية قديمة.

---

[١٥٣] عن هذه الأساطير انظر: محمد نصر عبد الرحمن، الأسطورة في المجتمع الهندي في العصور الوسطى ودلالاتها التاريخية، قصة شكروتي فرماض نموذجا"، حوليات إسلامية، مجلة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، عدد ٤١، ص ٢٠٠٧م، ص ١٢٧–١٤٠.

[١٥٤] آن ماري شميل، أحلام الخليفة، ص ١٤٦–١٥٢.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية والمعربة.

- القرآن الكريم.
- الإنجيل، العهد القديم، والعهد الجديد.
- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بين إدريس، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ٢ جزء، (بيروت، عالم الكتب ط١، ١٩٩٨).
- ابن أبي الدنيا، موسوعة ابن أبي الدنيا، تحقيق فاضل بن خلف بن حمادة الرقي، ٥٠ كتاباً في سبعة مجلدات، الرياض ١٤٣٣هـ. (الجزء السابع يشمل كتاب المنامات).
- الآبي، (ت ٤٢١هـ)، منصور بن الحسين الرازي، نثر الدر في المحاضرات، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ، ط١، ٧ أجزاء، بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
- ابن بيبي، أخبار سلاجقة الروم، ترجمة محمد السعيد جمال الدين، القاهرة المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٧م.
- ابن سعد، (ت ٢٣٠هـ) محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، ٨ أجزاء، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م) محي الدين أبو الفضائل عبد الله بن عبد الظاهر المصري، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق أيمن فؤاد سيد، (القاهرة ١٩٩٦م)
- ابن العربي (ت ٦٣٨هـ) محيي الدين، رسالة المبشرات المنامية، تحقيق ودراسة حياة قارة، AAM, 17 (2010) PP. 91-119. (جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب)
- البيهقي، المحاسن والمساوئ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٩١م.
- التنوخي (ت ٣٨٤هـ) القاضي أبو علي المحسن بن على التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الثاليجي، ط٢، ٨ مجلدات، بيروت ١٩٩٥م.
- الطبري (٢٢٤- ٣١٠ هـ) محمد بن جرير الطبري تاريخ الرسل والملوك، ١١ جزء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، القاهرة ١٩٦٧م.
- جون ماندفيل، أسفار السير جون ماندفيل ورحلاته، ترجمة أنس الذهبي ورنا جزائري، هيئة أبو ظبي للسياحة ٢٠١٢م
- عبد الغني النابلسي، (ت ١١٤٣هـ) الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، دمشق ١٩٨٩م.

- -----، تعطير الأنام في تعبير المنام، دار الفكر، بيروت د.ت.
- عبد اللطيف البغدادي، رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر (كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور والمشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر)، إشراف وتقديم عبد الرحمن عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط٢، القاهرة ١٩٩٨م.
- على بن ربن الطبري، الدين والدولة في اثبات نبوة النبي محمد، تحقيق عادل نويهض، بيروت ١٩٧٣م
- غيفونت، تاريخ الراهب غيفونت (٦٣٢-٧٨٧م) تعريبه ودراسته في العلاقات العربية الأرمينية حتى القرن العاشر الميلادي، رسالة دكتوراه أعدها جان جاك سلمانيان، جامعة القديس يوسف، بيروت ١٩٩٤م.
- مؤرخ مجهول، قصة البهنسا حكاية غزوة، تحقيق ودراسة د. عمرو عبد العزيز منير، القاهرة ٢٠١٢م. (الهيئة العامة لقصور الثقافة).
- مجهول، أخبار الدولة العباسية، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق: عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، د. ت.
- محمود مقديش، (ت ١٨١٣م) نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٨.
- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق كمال حسن مرعي، ٤ أجزاء، بيروت ٢٠٠٥م.
- مسكويه، (ت ٤٢١هـ) أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب، تجارب الأمم، ٥ أجزاء، تحقيق سيد كسروي حسن، بيروت ٢٠٠٣م.
- المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م) أحمد بن على، السلوك، الجزء الأول، القسم الأول، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط٢، القاهرة ١٩٥٦م.

-----، رسائل المقريزي، تحقيق رمضان البدري وأحمد مصطفي قاسم، القاهرة ١٩٩٨م.

----، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٣ أجزاء، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٩٦م.

- الواقدي (١٣٠- ٢٠٧ هـ) أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، فتوح الشام، ٢ جزء، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، بيروت ١٩٩٧م.

ثانيا: المصادر الأجنبية

- Anna Comnena, *The Alexiad*, translated by Elizabeth A. S. Dawes, (Cambridge 2000).

- Chronicon Paschale, Eng. Trans. M. Whitby and M. Whitbay, (Liverpool 1989).
- Evagrius, *the Ecclesiastical History of Evagrious Scholasticus*, trans. By M. Whitby, (Liverpool University Press 2000).
- Genesios, *On the reigns of the Emperors*, trans. A. Kaldellis (Byzantina Australienisa Publications1998).
- Gordon, C. D. (ed. and trans). *The Age of Attila, Fifth Century Byzantium and the Barbarians, Fragments*, The University of Michigan Press 1961.
- Porphyrogenitus, Constantine, (emperor) *Three Treatises on Imperial Military Expeditions*, ed. J. F. Haldon. Vienna 1991.
- Kinnamos, John, *Deeds of John and Manuel Comnenus*, eng. Trans. C. M. Brand (1976).
- Leo the Deacon, *The History of Leo the Deacon, Byzantine Military Expansion in the Tenth Century*, eng. Trans. Talbot, A. M. et al. (Dumbarton Oaks- Washington DC- 2005).
- Malalas, John, *The Chronicel of John Malalas,* Eng. Trans. E, Jeffreys et al, (Melbournbe 1986).
- Miecahel Attaleiates, *The History,* trans. by. A. Kaldellis and D. Karallis, Harvard University Press 2012.
- Michael Psellus, *Fourteen Byzantine Rulers: the Chronographia of Michael Psellus*, eng. Trans. E. A. Sweter, (London 1996).
- Oberhelman, S.M., *Dream Books in Byzantium: Six Oneirocritica in Translation,* (Aldershot 2008).
- Plutarch, Lives, vol., VII, trans. by B. Perrin, The Loeb Classical Library, London 1967.
- Robert the Monk, *History of the First Crusade,* eng. Trans. C. Sweetenham (Ashgate, Hants 2005).
- Skylizes, John, *A Synopsis of Byzantine History*, 811-1057, trans. by John Wortley, introduction J. Cheynet and B. Flusin, Cambridge University Press 2010.
- Talbot, A. (ed.) *The Byzantine Defenders of Images: Eight Saints' Lives in English Translation,*(Dumbarton Oaks, Washington DC 1998).
- Theophanes, *the Chronicle of Theophanes the Confessor*, eng. Trans., C. Mango and R. Scott, (Oxford 1997).
- Theophanes Continuatus, ed. I. Becker (CSHB, Bonn 1838).
- English translation: Books 1- IV: Chronographiae quae Theophanis Continuati nomine fertur Libri I-IV, English trans. and ed by Ed. Featherstone, Jeffrey Michael and Signes-Codoñer, Juan (Berlin 2015).

- Book V: *Vita Basili, I. Ševčenko, Chronographiae Quae Theophanis Continuati Nomine Fertur Liber Quo Vita Basilii Imperatoris Amplectitur, Berlin/Boston 2011.* (Book V of Theophanes Continuatus)

ثالثا: المراجع الأجنبية:

- Angelidi, C. and G. T. Calofonos, (eds.), *Dreaming in Byzantium and Beyond*, (Ashgate, Surrey 2014).
- Angelidi, C. "The Writing of Dreams: A Note on Psellos' Funeral Oration on his Mother", in: C. Baber and D. Jenkins (eds.), *Reading Michael Psellos,* (Leiden 2006).
- Bulkeley, K., Dreaming in the World's Religions: *A Comparative History,* New York University Press 2008.
- Calofonos, G., "Dream Interpretation: A Byzantinist Superstition? ", Byzantine and Modern Greek Studies, Volume 9, Issue 1 (01 January 1984), pp. 215-220.
  ----------, "Dream narratives in Historical writing: Making sense of History of Theophanes Chronographia", in: R. Macrides, *History as Literature in Byzantium*, Ashgate (Surrey 2010), pp. 133-143.
  ----------, " Manuel II Palaiologos: Interpreter of Dreams", **Byzantinische Forschungen**, Vol. 16 (1991) pp. 447-455.
- Gouda, Y., *Dreams and their Meaning in the Old Arab Tradition,* New York 1955.
- Green, N, "The Religious and Cultural Role of Dreams and Visions in Islam", *JRAS*, 13 (2003) pp. 287-313.
- Kinerg, L. "Interaction between this world and the Aftermath in Early Islamic Tradition", *Oriens*, 29 (1986) pp. 285-308.
- Kruger, Steven F.,*Dreaming in the middle Ages* (New York 1992).
- Laiou, A. and D. Simon, (eds.) *Law and Society in Byzantium: Ninth-Twelfth Centuries*, Dumbarton Oaks, Washington, D.C. 1994.
- Lamoreaux, J. C., *Dream Interpretation in the Early Medieval Near East*, unpublished Ph.D. thesis (Duke University 1999).
- Lynch, M. W., *Stories, Saints, and Dreams: the Literary Uses of Dreams in Early Medieval Hagiography*, unpublished Ph.D. Thesis (University of Michigan 2004).
- Lee, C. T., *Defining the Holy: Visions of the Ascetic in Late Antiquity*, unpublished Ph.D. thesis (Princeton University 2002).
- Magdalino, P., "The History of the Future and its uses: prophecy, policy and propaganda", in R. Beaton and C. Rouché et al (eds.), *The Making of Byzantine History Studies dedicated to Donald Nicol,* (London 1993) pp. 3-34.

- Mavroudi, M., *A Byzantine Book on Dream Interpretation: the Oneirocriticon of Achmet and its Arab Sources*, (Leiden 2002).
  ----------"Byzantine and Islamic Dream Interpretation: A Comparative Approach to the Problem of Reality vs Literary Tradition", in: Angelidi, C. and G. Calofonos, (eds.), *Dreaming in Byzantium and Beyond,* Ashgate, (Surrey 2014).
- Moreira, Isabel., *Dreams, visions, and spiritual authority in Merovingian Gaul*, (Ithaca Cornell University Press, 2000).
- Oberhelman, S., *The Oneirocritic Literature of the Late Roman and Byzantine Eras of Greece: Manuscript studies, translations and commentaries to the dream-books of Greece during the first millennium A.D., with Greek and English catalogues of the dream-symbols and with a discussion of Greek necromancy from Homer to Manuel the Palaeologian,* Ph.D., thesis, University of Minnesota 1985).
  ----------"The Interpretation of Dream-Symbols in Byzantine Oneirocritic Literature," *BS* 47 (1986) 8-24.
  ----------, "The Dream-Key Manuals of Byzantium", in: *Dreaming in Byzantium and Beyond,* pp. 145-159.
- Oppenheim, A. *The Interpretation of Dreams in the Ancient Near East,* Philadelphia 1956.
- Özgen, F. and Knysh, Alexander D. (eds.), Dreams *and Visions in Islamic Societies*, State University of New York Press 2012.
- Woods, D., "Jews, Rats, and the Battle of Yarmuk", in: Lewin, A. A. et al (eds.), *The Late Roman Army in the Near East from Diocletian to the Arab Conquest*, proceedings of a colloquium held at Potenza, Italy (Bar international 2007).

رابعا: المراجع العربية والمعربة:

- أحمد مصطفى أحمد أبو الخير، التراث العربي في كتب تفسير الأحلام، دراسة في اللغة والثقافة والحضارة، دمياط ٢٠٠٥م.
- أن ماري شميل، أحلام الخليفة: الأحلام وتعبيرها في الثقافة الإسلامية، ترجمة حسام الدين جمال الدين، وآخرون، كولونيا ٢٠٠٥م.
- حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري كتاب الرؤيا، دار اللواء، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
- فاروق خورشيد، "الأحلام في الموروث الشعبي"، مجلة الفنون الشعبية، القاهرة، عدد ٢٨/٢٧ (١٩٨٩) ص ٤٤-٥٢.

- عبد الله محمد أمين ونس العمري، الرؤى والأحلام في السنة النبوية، دراسة وجمع وتصنيف وتخريج، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٢م.
- رياض بن حسن الخوام، (جامعة أم القرى)، "ماذا فعل الله بك؟ الرؤى المنامية في كتب التراث"
- (Accessed http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=324462 11-1-2016)
- كليفورد إدموند بوزورث، السلالات الإسلامية الحاكمة، ترجمة عمرو الملاح، أبو ظبي ٢٠١٣م.
- محمد السيد محمد فياض، "التشيع الشعبي في العراق" (٦١– ٦٥٦هـ / ٦٨٠ – ١٢٥٨م) دراسة تاريخية، رسالة دكتوراه، جامعة طنطا ٢٠١٣م.
- محمد مؤنس عوض، "الأحلام والرؤى في تاريخ الصليبين في بلاد الشام وأوروبا خلال المرحلة من ١٠٩٨م إلى ١٢١٢م"، مجلة الشرق الأوسط، مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس، عدد ٣٢ (٢٠١٣م)، ص ٣٧– ٦٢.
- محمد نصر عبد الرحمن، الأسطورة في المجتمع الهندي في العصور الوسطى ودلالاتها التاريخية، قصة شكروتي فرماض نموذجا"، حوليات إسلامية، مجلة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، عدد ٤١، ص ٢٠٠٧م، ص ١٢٧–١٤٠.
- مشهور حسن آل سلمان، كتب حذر منها العلماء، ٢ جزء (الرياض ١٤١٥هـ).